

ادعاء العقلانية عند الملاحدة

دكتور

الشحات محمد الفتاح محمد إسماعيل

دكتوراه في العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الإلحاد في العصر الحديث تسيطر عليه النزعة العلمانية المتطرفة، حيث يرى أن العلم قادر على كشف كل الحقائق، وينفي أية حقائق تتجاوز العالم المادي. والملاحدة لا يؤمنون إلا بالمادية فقط- أي لا يوجد شيء سوى المادة- وأن الطبيعة هي كل شيء، فأنكروا وجود الله سبحانه وتعالى، وقالوا أن الكون وجد بلا خالق، ودعوا إلى نبذ الدين والأخلاق. كما زعموا أن نظرتهم للكون والحياة هي نظرة عقلانية منطقية، وأن الإيمان الديني غير عقلائي، فهو- عندهم- عبارة عن عملية عدم التفكير، وذلك بمقارنة أنفسهم مع أصحاب الأديان الذين يؤمنون - حسب زعمهم- بأساطير وخرافات، وأنهم يريدون أن يحرروا البشر من هذه الأوهام.

ومن هنا كان العداء الشديد من الإلحاد تجاه الدين؛ فلا يتقبل وجوده ولا يتسامح معه، ويرى ضرورة مواجهته ونقده وتفنيده عقلانياً أينما ظهر تأثيره؛ لكونه -في نظرهم- مسئولاً عن الإرهاب والشرور التي تملأ العالم. ويحظى الإسلام بنصيب الأسد من هجوم الملحددين الجدد؛ حيث يمثل في تقديرهم قوة الشر الكبرى في العالم.

وهذا البحث عبارة عن فكرة مبسطة أحاول فيها إلقاء الضوء على العقل وحقيقته، وكذلك العقلانية عند الملاحدة هل هي حقيقة أم وهم؟ وذلك من خلال عرض بعض آرائهم ومناقشتها.

أهداف البحث:

ويمكن حصر أهداف البحث في النقاط التالية:

١- الحديث حول مفهوم الإلحاد العقل والعقلانية.

- ٢- حقيقة العقل ومحلّه في الفكر الإسلامي ورأي الملاحدة ومناقشته.
- ٣- مناقشة فكرة العقلانية التي ينسبها الملاحدة لأنفسهم.
- ٤- إثبات انتفاء فكرة العقلانية لدى الملاحدة من خلال تفكيرهم.
- ٥- عودة العقلانية وثبوتها لدى بعض الملاحدة العائدين إلى الحق.
- ٦- آثار تعطيل العقل ونتائجه.

أهمية البحث:

وترجع أهمية هذا البحث إلى:

- ١- بيان أن الإلحاد يتناقض مع العقلانية، وتفنيد زعم الملاحدة أنهم عقلانيون، وبيان أن عقولهم في الحقيقة غائبة أو معطلة عن التفكير السليم.
- ٢- إقرار بعض الملاحدة الذين عاشوا فترة في الإلحاد أن تلك الفترة كانت فترة انغلاق عقلي وضياع، وعندما عادوا إلى الحق اعترفوا بما كانوا عليه من الخطأ.
- ٣- بيان أن هناك علاقة وثيقة بين تعطيل العقل عند الملاحدة وزيادة نسبة اليأس والإحباط وعدم السعادة، وأن نسبة الانتحار هي الأكبر بين الملحدين.

منهج البحث:

أما عن منهجي في هذا البحث، فقد اتبعت فيه المنهج التحليلي النقدي، حيث قمت بعرض مفهوم العقل والعقلانية، وبيان الرأي الراجح في حقيقة العقل، ثم بيان غياب العقلانية في الإلحاد، ومناقشة رأي الملاحدة في إنكارهم للخالق، وبيان عدم عقلانيتها من خلال آرائهم واعترافات بعض الأشخاص الذين عاشوا فترة من الإلحاد، ثم

تركوه وعادوا إلى الحق.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة. أما المقدمة فقد ذكرت فيها نبذة قصيرة تتضمن البحث في العقلانية عند الملاحدة وأهداف البحث وأهميته.

وأما البحث فقد تناولت فيه:

١- مفهوم الإلحاد والعقل والعقلانية.

٢- حقيقة العقل ومحلّه.

٣- الملاحدة معطلة العقل.

٤- عودة إلى العقلانية.

٥- آثار تعطيل العقل عند الملاحدة ونتائجه.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من البحث، وأهم التوصيات.

المبحث الأول

مفهوم الإلحاد والعقل والعقلانية

المراد بالإلحاد في هذا المبحث: هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهو: إنكار وجود خالق الكون، واعتبار أن الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة. أما العقل والعقلانية فالمراد منها المعاني التي ذكرها العلماء في اللغة والاصطلاح.

أولاً: مفهوم الإلحاد وخصائصه:

١- مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً:

الإلحاد لغة: يقال: ألد بـمعنى: مال، وعدل، ومارى، وجادل(١). ولحد الرجل في الدين لحداً، وألد إلحاداً: طعن، وجار، وظلم (٢). والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه، وقال الرّاغب: يقال: لحد بلسانه إلى كذا: أي مال إليه(٣). وقال ابن منظور: الإلحاد في اللغة الميل عن القصد، والعدول عن الشيء، ولحد في الدين يلحد، وألحد: مال وعدل، وقيل: لحد مال وجار(٤). وقيل: "الإلحاد: هو الميل عن الحق"(٥).

(١) انظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م، ص ٣١٧ مادة: (لحد).

(٢) انظر المصباح المنير، لأحمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان ١٩٨٧م، ص ٢١٠ مادة: (ألج).

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، (ب ت) ج ٢ ص ٥٧٧.

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ج ٣ ص ٣٨٨-٣٨٩ مادة: (لحد).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين

وقد ورد لفظ الإلحاد في القرآن في ثلاثة مواضع، وهي:
* قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (١).

* وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢).
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (٣).
والمراد بالإلحاد في هذه الآيات العدول، والميل، والتكذيب، والذنب.

الإلحاد في الاصطلاح: اختلف العلماء في المراد به على أقاويل متعددة، وقد ذكر الطبري هذا الاختلاف فقال: "اختلف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضوع، فقال بعضهم: أريد به معارضة المشركين القرآن باللغظ والصفير استهزاء به... وقال آخرون: أريد به الكفر والشرك... وقال آخرون: أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله... وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلا عن آيات الله، وعدولا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادا، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها(٤).

وجاء في المعجم الفلسفي تعريفه بأنه: إنكار وجود الله. وجاء أيضا:
"ربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على الذي ينكر وجود الله لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله، أو تخالف معتقدا دينيا معيناً أو

الكفوي، تحقيق: د/عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة

الثانية ١٩٩٨م، ص ٤٩٠.

(١) سورة الأعراف: الآية/١٨٠.

(٢) سورة الحج: الآية/٢٥.

(٣) سورة فصلت: الآية/ ٤٠.

(٤) سورة فصلت: الآية/ ٤٠.

رأيا جماعيا مقررًا^(١). وهذا الوضع إنما جرى عليه الاصطلاح لدى الكتاب المعاصرين؛ إذ قصرُوا الإلحاد على إنكار وجود الخالق. فالإلحاد إذاً هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه: فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق. وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

٢- خصائص الإلحاد:

ويمكن إجمال خصائص الإلحاد في النقاط التالية:

- ١- إنكار وجود الله عز وجل وما يتبع ذلك من غيبيات.
- ٢- القول بأزلية المادة وأبديتها، وأنها هي الخالق وهي المخلوق.
- ٣- المغالاة الشديدة في العلوم الطبيعية التجريبية، في التنظير للفكرة الإلحادية.
- ٤- العدائية الشديدة للدين ولمبدأ التدئين، ولقضية الإيمان بالله.
- ٥- الهجوم اللاذع على دين الإسلام، وربط الإرهاب به.

ثانياً: مفهوم العقل والعقلانية:

١- مفهوم العقل:

العقل في اللغة: جاء في لسان العرب: العقل: الحجر والنهي ضد الحمق، والجمع عقول.... قال ابن الأنباري: رجل عاقل؛ أي: جامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه - أي شدوها بحبل هو العقل-. ولذا قالوا: سمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في

(١) انظر تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج٩ ص٤٧٧-٤٧٨.

المهالك؛- أي: يحبسه-. وقيل: العقل هو التمييز، وبه يفترق الإنسان عن سائر الأحياء، وبه يفهم الإنسان ما لا يفهمه الحيوان(١).

وجاء في تاج العروس: العقل هو العلم، الحجر، النهية، وهو قوة وغريزة. والعقل هو القوة المهيأة لقبول العلم، وبه يستنبط العاقل الأمور. وقيل: العقل نورٌ روحاني يقذفه الله في القلب والدماع. به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، واشتقاقه من العقل وهو المنع؛ لمنعه صاحبه مما لا يليق(٢). وقال الجويني في الإرشاد: "العقل هو علوم ضرورية، والدليل على أنه من العلوم الضرورية، استحالة الاتصاف به مع تقدير الخلو عن جميع العلوم"(٣) ويشير هنا إلى أن المقصود هو العقل المشروط في التكليف؛ لأن العاري منه لا يحيط علماً بما يكلف.

وخلاصة القول: أن العقل لغة يفيد معان عدة؛ منها: أنه العلم، وأنه الحبس والحجر، وأنه قوة مهيأة لقبول العلم، وأنه نور يقذفه الله في القلب، وأنه غريزة في الإنسان، وأنه التمييز بين الإنسان والحيوان.

العقل في الاصطلاح: تنوعت تعريفات العقل اصطلاحاً واختلقت،

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ١١ ص ٤٥٧، مادة (عقل).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م، ج ٣٠ ص ١٨-٢٠، مادة (عقل)، وانظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، ج ٤ ص ١٧٦٩-١٧٧١، مادة: (عقل)، وانظر مختار الصحاح والمعجم الوسيط مادة (عقل).

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة/ أبو المعالي الجويني تحقيق: د/محمد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم عبدالحميد الناشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٠م، ص ١٥.

وذلك بسبب اختلاف المذاهب. وارتكزت كلها على أربعة معان:

المعنى الأول: العلوم الغريزية التي في الإنسان^(١)، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان؛ فيها يعلم ويعقل ويميز، وبها يقصد المنافع دون المضار، فهي بمنزلة قوة البصر في العين، والذوق في اللسان^(٢). وقد أشار أبو حامد الغزالي إلى هذا المعنى، بأنه: "الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية"^(٣). ويقول الراغب الأصفهاني عنه أيضاً: "وهو القوة المتهيئة لقبول العلم، ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة والسنبله في الحبة"^(٤). ويقول المحاسبي: "إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء..."^(٥).

المعنى الثاني: العلوم الضرورية أو البدهيات العقلية، وهي التي ينفق عليها جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والجائزات والمستحيلات، أو بأن الكل أكبر من الجزء إلى غير ذلك من البدهيات، وهي علوم لا تحتاج إلى

(١) انظر شرح الكوكب المنير، للشيخ محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د/محمد الزحيلي ود/نزيه حماد، مكتبة العبيكان بالرياض ١٩٩٣م، ج ١ ص ٨٠-٨١.

(٢) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠م، ص ٩٤-٩٥.

(٣) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، جزء ١ ص ١٠١.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٩٣-٩٤.

(٥) إحياء علوم الدين، جزء ١ ص ١٠١، وانظر البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٢م، ج ١ ص ٨٥.

دليل لإقرارها(١).

المعنى الثالث: العلوم النظرية، التي تحصل بالنظر والاستدلال والتجارب(٢). وتدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره. وعنه يقول الغزالي أنه: "علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال؛ فإن من حنكته التجارب، وهذبتة المذاهب، يقال إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة، يقال: إنه غبي، غمر، جاهل. فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً"(٣).

المعنى الرابع: الأعمال التي يستوجبها العلم؛ من إيمان بالله، وتصديق بكتبه، ورسله، والتزام بأوامره؛ وبذلك يكون العمل من لوازم العقل؛ لأن صاحب العقل إذا لم يعمل بعلمه، قيل: إنه لا عقل له. يقول الغزالي عنها: "أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً"(٤).

وصاحب العقل يتصف بمعاني العقل المتقدمة؛ فعنده غريزة العقل، وعلوم فطرية، ولديه علوم مكتسبة، ويعمل بعلمه، لذلك يقال عنه عاقل، وإن عطل شيئاً منها قيل: إنه غير عاقل.

٢- مفهوم العقلانية:

أما العقلانية فهي اسم مؤنث منسوب إلى عقل. ملخصه القول

(١) انظر المصدر نفسه، جزء ١ ص ١٠١.

(٢) انظر المسودة في أصول الفقه تتابع على تأليفه ثلاثة من أئمة آل تيمية الناشر مؤسسة محمد علي صبح المدني بالقاهرة، ١٩٦٣م، ص ٥٥٩.

(٣) انظر إحياء علوم الدين، جزء ١ ص ١٠١.

(٤) انظر المصدر نفسه/ جزء ١ ص ١٠١.

بأولية العقل وأنه مصدر كل معرفة وليس للتجربة دور فيها. وعصر العقلانيّة: هو العصر الذي انتشر فيه المذهب العقلانيّ، خاصّة فترة حركة التنوير الفلسفية في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. والعقلانية تختلف عن التجريبية، التي تذهب إلى أن المعرفة البشرية كلها تستمد من التجربة الحسية، إذ يؤكد العقلانيون الدور الذي ينهض به العقل متباينا عن الحواس في اكتساب المعرفة(١). وتطلق العقلانية على عدة معان:

الأول: إن كل موجود له علة في وجوده، بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجع معقول.

الثاني: إن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية، لأن هذه التجارب لا تفيد علما كلياً. والمذهب العقلي بهذا المعنى مقابل للمذهب التجريبي الذي يزعم أن كل ما في العقل متولد من الحس والتجربة.

الثالث: إن وجود العقل شرط في إمكان التجربة فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هنالك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس.

الرابع: الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة، وسبب ذلك في نظر العقلانيين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية وأن كل موجود معقول(٢).

(١) انظر العقلانية فلسفة متجددة، جون كوتنغهام، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري- حلب، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص١٧، وانظر المعجم الفلسفي لجميل صليبا، ج ٢ ص ٩٠.

(٢) انظر المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٨٢م ج ٢ ص ٩٠-٩١.

ثالثاً: أهمية العقل:

تبدو ضرورة العقل وأهميته بوصفه أصلاً من أصول المصالح التي بدونها لا مجال لوجود الإنسان ولا لحياته الاجتماعية من بقاء. ومن ثم كان في الشريعة الإسلامية هو مناط التكليف، فهو الذي يميز به الإنسان بين الصواب والخطأ، وهو الذي فرض عليه النظر في الخلق، ومعرفة خالق الكون، لذا اهتم الإسلام بالعقل وجعله من الضرورات الخمس التي يجب على الإنسان الحفاظ عليها، لأن الدين والعقل توأمان لا يفترقان، فالدين هو رسالة الله للإنسان والعقل دليلها. والقرآن الكريم حافل بالإشادة بالعقل والتفكير وسمو الإدراك والتعقل، حيث خاطب أصحاب العقول وأمرهم بإعمالها، وذم كل من عطلها ولم يستعملها.

والسياق القرآني في مادة العقل لم يستعمله بصيغة الاسم الجامد، وإنما استعمل مشتقاته الفعلية: (تعقلون، يعقلون، عقلوه، يعقلها، نعقل)، ولم ترد كلمة العقل فيه بالصيغة الإسمية، وإن وردت مرادفاتاً بهذه الصيغة، مثل: اللب، والحلم، والنهى، والقلب، والفؤاد، التي جاءت كلها بمعنى العقل(١). للإشادة بفاعليته في النظر والتدبر، والتمييز بين الأضداد؛ كالحق والباطل، والصحيح والزائف، والخير والشر، والواجب والمستحيل، وفي هذا الأسلوب ما يلفت النظر إلى العقل باعتباره قوة نفسية، ووظيفة حيوية، ينبغي أن تستثمر في محلها، لتؤدي دورها المنوط

(١) انظر بغية المرئاد لابن تيمية، تحقيق: د/ موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم السعودية، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م، ص ٢٤٨، وانظر القرآن والنظر العقلي، فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ٦٤، وانظر مبادئ الفلسفة الإسلامية، عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي للنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ج ١ ص ٧٢،

بها.

كما تتجلى أهمية العقل في أنه شرط في معرفة العلوم، وفي الأعمال وصلاحها، وبه يكمل الدين والعمل، ولكنه لا يمكن أن يستقل بذلك، حيث إنه غريزة في النفس وقوة فيها مثل قوة البصر، وحين يتصل به نور الشرع كان كنور العين حين يلاقي ضوء الشمس، فإن انفرد لم يستطع إدراك ما يعجز عنه وحده. يقول الغزالي: "اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناءً، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس. أيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر" (١). ويقول: "وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدده، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج، لم يضيئ الزيت، وعلى هذا نبه الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (٢). فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضان بل متحدان" (٣).

ويمكن إجمال أهمية العقل في النقاط التالية:

١- أنه سبب استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض، ولو لم يكن الإنسان يمتلك عقلاً لما كان لوجوده أي فائدة، فعمارة الأرض وإصلاحها

(١) معارج القدس في مدارج معرفة النفس للإمام الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٧٣.

(٢) سورة النور: الآية/٣٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٧٣، وانظر العقل والشرعية مباحث في الأبيستمولوجيا العربية الإسلامية، د/ مهدي فضل الله، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص ١٦-١٧.

- يحتاج إلى العقل. فالعقل إذن هو مظنة الاستخلاف في الأرض.
- ٢- العقل هو مناط التكليف، فكثير من العبادات من شروطها أن يكون المسلم عاقلاً بالغاً، كما أن كثيراً من المعاملات بين الناس لا تتم إلا إذا كان طرفي العقد عاقلين، فالمجنون غير مكلف وغير مؤاخذ على أفعاله بسبب فقدانه للعقل.
- ٣- العقل هو مصدر الحكمة التي تميز بها الكثيرون عبر التاريخ، وهو وسيلة التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ والنافع والضار، فالإنسان العاقل هو الذي يستطيع أن يميز بين ما هو صواب وخطأ أو حق وباطل.
- ٤- العقل هو وسيلة الإبداع والاختراع، فالعلماء الذين أخرجوا لنا كل ما ننتفع به في حياتنا أعملوا عقولهم في العلم وأبدعوا حتى تمكنوا من ذلك.
- إذاً فالعقل له دور عظيم، فيه يعرف الإنسان ربه عز وجل، ويتعرف على صفاته، وبه يعبد، وبه يميز بين الخير والشر، وبه يشتري ويبيع، وبه يحكم الحاكمون ويخطط الساسة، وبالعقل تصنع الأجهزة العلمية، وتجري البحوث، وتركب العقاقير. لكن الملاحظة عطلوا العقل عن مهمته الأساسية في الاهتداء إلى الخالق، ومع ذلك زعموا أنهم عقلائيون.

المبحث الثاني حقيقة العقل ومحلّه

تعد مسألة حقيقة العقل ومحلّه من المسائل المهمة بالنسبة للإنسان، وقد خاض فيها الكثير من العلماء المسلمين وغير المسلمين وأدلو فيها بأرائهم، وكان للمتكلمين والفلاسفة وكذلك الملاحدة آراء ومذاهب مختلفة فيها.

أولاً: مذهب المتكلمين والفلاسفة في حقيقة العقل:

١- مذهب المتكلمين:

ذهب المتكلمون إلى أن العقل هو العلم، ويشير الزركشي إلى رأيهم هذا، فيقول: "وقال الأستاذ أبو إسحاق في شرح الترتيب: العقل هو العلم لا فرق بينهما من حيث كون كل واحد منهما علماً. وهذا لا خلاف فيه بين أصحابنا. وهو قول المتكلمين من الإسلاميين، وبه قالت المعتزلة"^(١). وعليه فلا يعدو العقل أن يكون علماً أو فعلاً أو سلوكاً. ويقول القرطبي: "وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني وغيرهما من المحققين: العقل هو العلم بدليل أنه لا يقال عقلت وما علمت أو علمت وما عقلت. وقال القاضي أبو بكر: العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وهو اختيار أبي المعالي في الإرشاد. واختار في البرهان أنه صفة يتأتى بها درك العلوم... وحكي في البرهان عن المحاسبي أنه قال: العقل غريزة"^(٢).

(١) انظر البحر المحيط ج١ ص٨٥.

(٢) تفسير القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة:

٢- مذهب الفلاسفة:

وأما الفلاسفة فقد ذهبوا إلى أن العقل جوهر مخلوق (١) وسموه بالجواهر العقلاني (٢). يقول القرطبي: "وقد صارت الفلاسفة إلى أن

٢٠٠٣ م، ج ١ ص ٣٧٠.

(١) انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٨٥.

(٢) الجوهر والعرض من المصطلحات التي استعملها المتكلمون والفلاسفة في تحليلاتهم لموضوعات الوجود الإنساني والوجود الكوني، وهذه المفاهيم ترجع إلى أصول يونانية. وقد اختلفت عبارات المتكلمين في تعريفه فقال بعضهم: "الجوهر هو المتحيز، والعرض هو الحال في المتحيز" وزاد عليه بعضهم (بذاته) فقال: "إن كان متحيزاً بذاته فجوهر، وإن كان متحيزاً تبعاً لغيره فعرض" وقال آخر: الجوهر هو الذي يوجد قائماً بذاته. انظر التحقيق = التام في علم الكلام، محمد الحسيني الطواهري، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٩٣٩ م، ص ٤٣. وانظر رسالة في قواعد العقائد لنصير الدين الطوسي، تحقيق: علي حسن خازم، دار الغربية لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م، ص ٢٢. وانظر بداية الحكمة للسيد محمد حسن الطباطبائي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم سنة ١٤١٨ هـ، ص ٨٧. أما الفلاسفة فقد عرفوا الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع، أو ما يقوم بذاته مستغن عن غيره لا يفتقر إليه ليقوم به. فالجسم إذا وجد في الخارج وجد لا في موضوع، كالماء أو الكتاب يوجد في الخارج بنفسه، ووجوده غير وجود الحرارة للماء، أو البياض للورقة. أما العرض، فقد عرفوه بأنه هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به، فالجسم جوهر يقوم بذاته، أما اللون فهو عرض؛ لأنه لا يوجد بصورة مستقلة عن غيره، وكل ما يعرض في الجوهر فهو عرض؛ لاستحالة قيامه بذاته. يقول ابن سينا: "كل ذات لم يكن في موضوع فهو جوهر، وكل ذات قوامها في موضوع فهي عرض"، ويقول أيضاً: "يقال عرض لكل موجود في موضوع". انظر بداية الحكمة ص ٨٧. وشرح كتاب النجاة لابن سينا، قسم الإلهيات تأليف فخر الدين الإسفرايني النيسابوري، تحقيق: د/حامد ناجي أصفهاني، طهران ١٣٨٣ هـ، ص ١٩، وانظر ص ٢٠ من نفس المصدر. والمعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج ٢ ص ٦٩. ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٩٠ م، ج ٢ ص ٨، وتعريف

العقل... جوهر لطيف في البدن ينبث شعاعه منه بمنزلة السراج في البيت يفصل به بين حقائق المعلومات، ومنهم من قال: إنه جوهر بسيط أي غير مركب" (١). ويقول الكندي: "العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها" (٢). وهذا الجوهر ليس مركبا من قوة قابلة للفساد. وإنما هو مجرد عن المادة. يقول التهانوي: "هو الجوهر المجرد في ذاته وفعله أي لا يكون جسما ولا جسمانيا ولا يتوقف أفعاله على تعلقه بجسم. وبعبارة أخرى هو جوهر مجرد غير متعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف، وإن كان متعلقا بالجسم على سبيل التأثير. فبقيد الجوهر خرج العرض والجسم" (٣). وهذا القول بجوهرية العقل كما هو موجود عند الكندي وجد

الحكام والتعريف الأخير للمتكلمين يعطينا معنى واحداً؛ لأن الوجود لا في موضوع هو الاستغناء في الوجود عن الموضوع، وكذلك أن يوجد قائماً بذاته يعني لا في موضوع. أما التعريف بالمتحيز فهو المختلف فيه.. ويقول الشريف الجرجاني: "العقل جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا. وقيل: أنه جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان. وقيل: العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل. وقيل: العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف. وقيل: العقل قوّة للنفس الناطقة...". التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان-بيروت، طبعة ١٩٨٥م، ص ١٥٧.

(١) المصدر نفسه، ج ١ ص ٣٧٠.

(٢) رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: د/محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي بمصر ١٩٥٠م، ص ١٦٥.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: د/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ج ٢ حرف العين ص ١١٩٤، وانظر البحر المحيط ج ١ ص ٨٥.

عند الفارابي وابن سينا وغيرهم^(١).

٣- المذهب الراجح:

والمذهب الراجح من المذهبيين هو مذهب المتكلمين؛ لأن حقيقة العقل أنه أمر يقوم بالعاقل، مثل البصر بالنسبة للمبصرات، فالبصر ليس جوهرًا قائمًا بذاته، وإنما هو فعل معلول للعين، فكذلك العقل هو فعل معلول لذات حقيقية، وقد أشار القرآن إليه في آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(٢)، ونحو ذلك مما يفيد أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً. يقول الماوردي: "وهذا القول في العقل بأنه جوهر لطيف، فاسد من وجهين: أحدهما: أن الجواهر متماثلة، فلا يصح أن يوجب بعضها ما لا يوجبه سائرها، ولو أوجب سائرها ما يوجبه بعضها، لاستغنى العاقل بوجود نفسه عن وجود عقله. والثاني: أن الجوهر يصح قيامه بذاته؛ فلو كان العقل جوهرًا لجاز أن يكون عقل بغير عاقل، كما جاز أن يكون جسمٌ بغير عقل، فامتنع بهذين أن يكون العقل جوهرًا"^(٣).

كذلك، القول بجوهرية العقل يعتبر تصور تشبيهي وتجزئي له، تشبيهي: تصور يجمد العقل ويعطل فاعليته المكتسبة من اتصاله بحقائق النفس الأخرى، وتجزئي: تصور يجعل العقل "منفصلاً عن أوصاف أخرى للعاقل لا تقل تحديداً لماهية الإنسان كالعقل والتجربة"^(٤). فلو سلمنا

(١) المعجم الفلسفي، ج ٢ ص ٨٥.

(٢) سورة الحج: الآية/ ٤٦.

(٣) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي، دار اقرأ - بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٨٥م ص ٨-٩.

(٤) العمل الديني وتجديد العقل، د/طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

بجوهرية العقل؛ فإن التسليم بجوهرية العمل وجوهرية التجربة أولى، فيكون العمل ذاتا قائما بالإنسان، والتجربة جوهرًا مفارقًا له مثله مثل جوهر العقل، ويترتب عليه تعدد الذوات القائمة بالإنسان: ذات عاقلة، وذات عاملة، وذات مجربة، وهذا خطأ؛ لأنه مخالف لحقيقة الإنسان صاحب الوحدة المتكاملة في أوصافه وأفعاله(١).

فالقول الصحيح: أن العقل هو العلم بالمدرجات الضرورية؛ وذلك نوعان: أحدهما: ما وقع عن درك الحواس. والثاني: ما كان مبتدأ في النفوس. فأما ما كان واقعا عن درك الحواس؛ فمثل المرئيات المدركة بالنظر، والأصوات المدركة بالسمع، والطعوم المدركة بالذوق، والروائح المدركة بالشم، والأجسام المدركة باللمس؛ فإذا كان الإنسان ممن لو أدرك بحواسه هذه الأشياء لعلم، ثبت له هذا النوع من العلم(٢). وهذا مما يقع فيه التفاوت بين العقلاء. وأما ما كان مبتدأ في النفوس، فكالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم، وأن الموجود لا يخلو من حدوث أو قدم، وأن من المحال اجتماع الضدين، وأن الواحد أقل من الاثنين. وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينتفي عن العاقل، مع سلامة حاله، وكمال عقله؛ وهذا مما يتساوى فيه جميع العقلاء. فإذا صار العاقل عالما بالمدرجات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل(٣).

ومن ثم يمكن أن يقال: العقل ذو طبيعة فطرية، ومكتسبة. فطرية

الطبعة الثانية ١٩٩٧م، ص ١٨.

(١) انظر المصدر نفسه ص ١٨.

(٢) انظر أدب الدنيا والدين ص ٩.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٩.

لأن كل الناس يولدون وهم مزودون بهذه الملكة، ومتساوون فيه بالفطرة ولكن يختلفون في طريقة استخدامه. يقول ديكارت: "العقل هو أحسن الأشياء توزعا بين الناس (بالتساوي)... تتساوى بين كل الناس بالفطرة، وكذلك يشهد بأن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر، وإنما ينشأ من أننا نوجه أفكارنا في طرق مختلفة، ولا ينظر كل منا فيما ينظر فيه الآخر، لأنه لا يكفي أن يكون للمرء عقل، بل المهم هو أن يحسن استخدامه"^(١).

وأما طبيعة العقل المكتسبة، فهو نتيجة الطبيعة الفطرية، فيها معرفة المدركات، وليس لهذا حد؛ لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل. ونماؤه يكون بكثرة الاستعمال وكثرة التجارب، وممارسة الأمور والتعلم، حيث تتم هذه الأشياء عن طريق الحواس فتتمد العقل بالمادة الأولية، وهو بالتحليل والتركيب والاستنتاج يصل إلى الحقائق. فإذا ما التقت طبيعة القوى الفطرية مع وظيفة العقل، فإنه يكون ماضيا في تحقيق كماله في الجانب العملي المكتسب. وتفاوت الاستعداد في العقل المكتسب بين الناس لا ينافي وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار منه.

ثانيا: محل العقل:

هناك خلاف في محل العقل -بغض النظر عن ماهيته- هل هو في القلب أم في الدماغ؟، فيظن الكثير من الناس أن العقل موجود في الدماغ، وأن القلب ما هو إلا مجرد عضو من الأعضاء له وظيفة ضخ الدم إلى الجسد، أو أنه مركز للحب والكره ونحو ذلك من المشاعر فقط، لكن

(١) مقال عن المنهج ، رينيه ديكارت، ترجمة: محمود محمد الخضير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر-القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٨م، ص١٠٩.

نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، تدل على أن للقلب وظيفة أخرى وهي وظيفة التدبر والفهم والتفكير.

وقد ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم في شرحه لحديث: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (١) قال: "واحتج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس وفيه خلاف مشهور مذهب أصحابنا وجماهير المتكلمين أنه في القلب، وقال أبو حنيفة هو في الدماغ، وقد يقال في الرأس، وحكوا الأول أيضاً عن الفلاسفة والثاني عن الأطباء. قال المازري: واحتج القائلون بأنه في القلب بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (٣) وبهذا الحديث فإنه - صلى الله عليه وسلم - جعل صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد فيكون صلاحه وفساده تابعاً للقلب، فعلم أنه ليس محلاً للعقل. واحتج القائلون بأنه في الدماغ بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل ويكون من فساد الدماغ الصرع في زعمهم. ولا حجة لهم في ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه ولا امتناع من ذلك. قال المازري لا سيما على أصولهم في الاشتراك الذي يذكرونه بين الدماغ والقلب وهم يجعلون بين رأس المعدة والدماغ اشتراكاً والله أعلم" (٤).

(١) صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ب) ت، ج ٣ ص ١٢١٩ حديث رقم ١٥٩٩، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) [سورة الحج: الآية/ ٤٦](#).

(٣) سورة ق: الآية/ ٣٧.

(٤) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن

هذا هو سبب الخلاف، والصحيح أن العقل يوجد في القلب، وهو قول جمهور العلماء. ذكر أبو يعلى في العدة ما نصه: "ومحل العقل القلب، ذكره أبو الحسن التميمي في (كتاب العقل)، فقال: الذي نقول به: إن العقل في القلب يعلو نوره إلى الدماغ، فيفيض منه إلى الحواس ما جرى في العقل" (١)، فالدماغ يستقبل ويتصور ثم يرسل هذا التصور إلى القلب لينظر، ثم ترجع الأوامر من القلب إلى الدماغ ثم ينفذ الدماغ. فالدماغ هو الذي ينظم المعاملات ويرتبها ثم يرسلها إلى القلب، والقلب يمضي أو يرد، ثم يدفعها إلى الدماغ، والدماغ يأمر الأعصاب. فالأصل هو القلب، وهو المتحكم في الجسد تفكيراً وصلاً أو فساداً، وله امتداد إلى الدماغ.

إذاً فلا يلزم أن يكون المخ الذي هو في الدماغ هو محل العقل والتصرف في البدن والتحكم فيه، ولما العادة جرت بالقول بأن العقل موجود في الدماغ، فإن ذلك لقوة الصلة بين القلب والدماغ، ومن المعلوم أن قوة الاتصال تؤدي إلى قوة التأثير بين المتصلين، وقد ثبت بالشرع والعلم أن القلب هو القائد والآلة المتصرفة في الجسد كله.

ثالثاً: مذهب الملاحدة في حقيقة العقل:

لما كانت المادية هي المفسرة لكل شيء عند الملاحدة سواء في الكون أو الإنسان، وكان من هذه الأشياء التي فسرت بالمادة (العقل)؛ فقد حصروا معناه وحقيقته في الدماغ، وذهبوا إلى أن الدماغ هو عضو

شرف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، ج ١١/ص ٢٩.

(١) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق: د/أحمد بن علي سير المباركي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م، ج ١ ص ٨٩، وانظر من ص ٨٩-٩٣، وانظر المسودة ص ٥٥٩.

التفكير، وأنكروا أي جانب روحي يساعد على هذا النشاط، وجعلوا العقل كله عبارة عن تفاعلات (بيوكيميائية) في خلايا الدماغ يصدر الإنسان عنه أفعاله وأفكاره وسلوكه. فالمادة – عند الملاحظة- هي الأساس نظرا لأنها مصدر الإحساس والأفكار والإدراك، أما العقل فهو شيء ثانوي، نظرا إلى أنه انعكاس للمادة، والفكر هو نتاج لهذه المادة التي بلغت في تطورها درجة عالية من الاكتمال. فالعقل إذاً –عندهم- هو المخ، والمخ هو عضو التفكير.

يقول إنجلز: "إن العالم المادي الملموس حسيا الذي ننتمي نحن إليه، هو الحقيقة الوحيدة. إن وعينا وتفكيرنا، مهما قد يبدو من الحساسية القصوى، هو نتاج للمادة، العضو الجسدي، الدماغ"^(١). ولم يختلف معه في هذا المفهوم الملاحظة الجدد. فهذا (سام هريس) يقول: "إن الفهم العلمي (الطبيعي) للعلاقة بين النيات، والعلاقات البشرية، وأحوال السعادة الإنسانية، سيكون له تأثيره البالغ في (معرفة) طبيعة الخير والشر.... فقد أمسى لدينا الكثير من الأسباب لنؤمن بأن البحث المستمر في الدائرة الأخلاقية سيفضي إلى امتزاج نظمنا الاعتقادية المختلفة على نحو ما وقع في كل مجال من مجالات العلم على الأقل فيما بين أولئك المؤهلين لذلك الأمر"^(٢). ومن كلامه يتبين أنه يحاول ربط الأحكام الأخلاقية العقلية بالفهم العلمي الطبيعي.

رابعاً: رأي الدراسات الحديثة في حقيقة العقل:

(١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، دار التقدم ١٩٣٨م ص ٥.
(٢) براهين، مجلة دورية تصدر عن مركز براهين لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي شرعي، العدد الأول فبراير ٢٠١٤م، ص ٢٦.

كانت هناك أبحاث ودراسات حول العقل، ومركزه وماهيته، لكنها لم تكن في صالح الإلحاد، بل كانت في اتجاه آخر معاكس تماما لخصه السير (تشارلز شرنجتون) مؤسس فسيولوجيا الأعصاب الحديثة بقوله في نتيجة بحوثه المكثفة في مجال الدماغ والجهاز العصبي والدماغ: "هكذا ظهر فرق جذري بين الحياة والعقل؛ فالحياة هي مسألة كيميائية وفيزيائية، أما العقل فهو يستعصى على الكيمياء والفيزياء"^(١). ويقصد هنا بالحياة الإشارة إلى التغذية الذاتية والأيض والنمو فهو يقول عن هذه الظواهر: إنها تتم بواسطة قوانين الفيزياء والكيمياء، ويمكن تفسيرها بلغة هذين العلمين، أما أنشطة العقل فهي تتجاوز آليات الفيزياء والكيمياء.

ويوافق على ذلك السير (جون أليكس) المتخصص في مجال الأعصاب فيقول: "التجارب التي تتم على الوعي تختلف في نوعها كل الاختلاف عما يحدث في آلية الأعصاب ومع ذلك فإن ما يحدث في آلية الأعصاب شرط ضروري للتجربة وإن كان هذا شرطا غير كاف"^(٢). وعليه فلا يمكن أن يكون العقل ظاهرة ثانوية مصاحبة لآلية الأعصاب إذا أريد له أن يعاين الطبيعة والحياة، ويتحكم ويوجه الإنسان. ويقول بنفيلد: "إن العقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في أن معا"^(٣).

فالعقل هو المسؤول عن جميع أفعالنا وأفكارنا وأحاسيسنا وعواطفنا. وبناءً على الفرض السابق الذي قال به الملاحدة، أن العقل

(١) العلم في منظوره الجديد، تأليف روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو، ترجمة: د/كمال خليلي، سلسلة عالم المعرفة، فبراير ١٩٨٩م، ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠.

مجموعة من الخلايا البيوكيميائية تتفاعل بشكل محدد لتنتج فكراً وسلوكاً، لو كان الدماغ عبارة عن حاسبة الكترونية فكما أنها تحتاج من يوجهها، لا بد للدماغ من أن يوجه من قبل العقل. يقول بنفيلد: "إن الحاسبة الإلكترونية والدماغ هو كذلك لا بد من أن تبرمجها وتديرها قوى قادرة على الفهم المستقل"^(١) ثم يحدد دور العقل فيقول: "إن ما تعلمنا أن نسميه العقل هو الذى يركز الانتباه فيما يبدو والعقل يعي ما يدور حوله، وهو الذى يستنبط ويتخذ قرارات جديدة، وهو الذى يفهم ويتصرف كما لو كانت له طاقة خاصة به، وهو يستطيع أن يتخذ القرارات وينفذها مستعينا بمختلف آليات الدماغ"^(٢) وعليه فإن توقع العثور على العقل فى أحد أجزاء الدماغ، أشبه بتوقع كون المبرمج جزءاً من الحاسبة الإلكترونية.

كذلك نفى هنري برجسون رأيهم هذا بقوله: "كلا. ليس العقل فى الدماغ المادى الذى تحويه الجمجمة، بل العقل شيء والدماغ شيء آخر: العقل قوة والدماغ مادة. وإذا كنا نرى أن الإدراك العقلى يعتمد على الدماغ ويتأثر بسلامته وقوته ومرضه وضعفه، فما ذلك إلا لأن الدماغ وعاء للعقل، وسند له، وآلة يسرى فى مجاريها، فإذا تعطلت الآلة اختل سير القوة واضطرب، كالماء يجرى فى الساقية ويخضع فى سيره لتعاريجها، ولكن خضوعه هذا لا يعنى أن الماء هو المجرى، والمجرى هو الماء"^(٣). إذاً فالقول بأن العقل مادى وفى الدماغ ليس بصحيح، وقد سبق

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠، وانظر نافذة على فلسفة العصر، د/زكى نجيب محمود، كتاب العربى الكتاب (٢٧) ١٥ أبريل ١٩٩٠م، ص ١٤.

(٣) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن للشيخ نديم الجسر، منشورات المكتب الإسلامى - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٦٩م، ص ١٧٥.

الإشارة إلى ذلك. وعلى فرض صحته - كما يزعم الملاحدة- فإن الذي يحدد سلوك الإنسان يكون عبارة عن مجموعة من الخلايا، فماذا يحدث لو استطعنا التحكم بهذه المجموعة من الخلايا؟ يلزم منها انتفاء القصد وحرية الإرادة عند الإنسان، ويصبح بإمكاننا - بواسطة التلاعب بهذه الخلايا- أن نغير المفاهيم السيئة إلى مفاهيم حسنة، ومن ثم تتغير مفاهيم الشريعة وتهدم المنظومة الإنسانية بأكملها.

المبحث الثالث الملاحظة معطلة العقل

بناء على مادية العقل، يعزو الملحدون إحادهم إلى أسباب يقولون أنها فلسفية نابعة من التحليل العقلي المنطقي والاستنتاج العلمي، فينفون وجود أي أدلة أو براهين على وجود إله، ويرون أن وجود إله متصف بصفات الكمال منذ الأزل هو أكثر صعوبة وأقل احتمالاً من نشوء الكون والحياة، بمعنى أن افتراض وجود إله حسب رأي الملحدين يستبدل معضلة وجود الكون بمعضلة أكبر وهي كيفية وجود الإله الكامل منذ الأزل. وهذا بالطبع ليس موقفاً عقلياً منهم.

وفيما يلي القضية الرئيسية عند الملاحظة ومناقشتها.

أولاً: قضية إنكار وجود الله عند الملاحظة:

ينفي الملاحظة وجود الله تعالى، وليبرروا اعتقادهم بالإلحاد قالوا:

(أ) إن الطبيعة خلقت العالم.

(ب) إن العالم خلق نفسه.

(ج) إن العالم وجد عن طريق الصدفة.

من المسلم به أنه لا يمكن لإنسان أياً كان في قضية وجود الخالق أن يحكم على الخالق بحكم إلا وقد سبق ذلك الحكم تصور معين عنه. كذلك الملحدين لا يمكنه إنكار الخالق إلا وحكمه فرع عن تصور معين لخالق ياباه ولا يوافق عليه، لأنه يستحيل أن يخوض في قضية ممتنعة لذاتها أو قضت ضرورة العقل بانتفائها، فهذا عبث؛ مثال ذلك: أنك لا تجد عاقلاً يخوض بنظره وفكره للبرهنة على إمكان اجتماع النقيضين؛ لأن علم استحالة اجتماعهما ضروري مركوز في النفس ومحاولة تجويز ذلك سفه

وعبث^(١).

والخالق -سبحانه- ليس شيئاً ممتنعاً لذاته، ولا يحكم العقل بضرورة انتفاء وجوده؛ لأنه لو كان كذلك لكان إثبات امتناع وجوده أسهل من إثبات وجوده، بل ستنتفي الحاجة لإثبات امتناع وجوده؛ لأن الضرورات -أي: في حالة حكم العقل بضرورة انتفاء وجوده- لا تفتقر إلى نظر؛ ولو قلنا وجود الخالق - المنزه عن الإمكان والحدوث- ممكن في أقل الأحوال تنزلاً مع الخصم في التعبير؛ فإن الممكن لا يمكن الحكم عليه بنفي أو إثبات إلا بدليل، فوجب على من ينكر وجود الخالق التدليل على دعواه، مثلما يطلب هو من المثبتين لوجوده تقديم أدلتهم على وجوده^(٢)، لأن عدم العلم بوجود الشيء لا يعني العلم بعدم وجوده، وهذه حقيقة يجب أن يسلم بها العقل الحديث؛ لأن العلم حتى هذه اللحظة كل يوم يكتشف مجهولاً، ولو كان عدم العلم بالشيء كافياً في العلم بعدمه لما صح للعلم أن يكشف مجهولاً، إذ كيف يكشف وجود ما علم عدمه^(٣).

فأقوال الملاحدة تلك لا عقلانية، وغير مقبولة؛ لأنه إن كان لا يصح عقلاً وجود فعل ما بدون فاعل، فمن الأولى أنه لا يصح في العقل وجود هذا العالم بلا خالق، والعلم بذلك مركز في الفطرة واقع في

(١) انظر هل الإلحاد لا عقلاني، جاري جتنج وألفن بلانتنجا، ترجمة: د/عبدالله بن سعيد الشهري، مدونة الفلسفة نيويورك تايمز، فبراير ٢٠١٤م ص١٢، وانظر كتاب ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، للشيخ محمد ياسين، تقديم: د/عبدالمهدي عبدالقادر، وآخرون، نشر المكتبة الأزهرية، طبعة أولى ٢٠٠٨م.

(٢) انظر المصدر نفسه ص١٢.

(٣) انظر لن تلحد لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الكتاب العربي السعودي- جدة-، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص ٨٧.

النفس(١). كذلك لا يصح كون ذلك الفاعل الطبيعة؛ لأن الطبيعة لا إرادة لها فكيف تخلق؟ وكيف تخصص المعدوم بالوجود بدل العدم؟. ولا يصح أن يكون الشيء خالق نفسه(٢)؛ لأن في ذلك جمعاً بين متناقضين، باعتبار خالقيته متقدم، وباعتبار مخلوقيته متأخر، وذلك محال عقلاً. وأيضاً لا يصح أن يخلق الشيء مثله أي مشابهه؛ لأن أحد المتلين ليس بأولى بأن يخلق مثله من الآخر. ولا يصح أن يكون وجود العالم بالصدفة(٣)؛ لأن العقل يحيل وجود شيء ما بدون فاعل؛ ولأنه يلزم من ذلك محالاً وهو ترجح وجود الجائز على عدمه بدون مرجح، ووجود الممكن وعدمه متساويان عقلاً، فلا يترجح أحدهما على مقابله إلا بمرجح. يقول (وتكر): "ليس هناك من أساس لافتراض أن المادة والطاقة كانت موجودة ثم أثرت فجأة إلى الفعل، إذ ما الذي كان يمكن أن يميز تلك اللحظة عن كل اللحظات الأخرى في الأزل؟... الأبسط من هذا أن نفترض الخلق من العدم، الإرادة الإلهية تكوّن الطبيعة من العدم المحض"(٤).

ثانياً: نماذج من أدلة بطلان آراء الملاحدة وعدم عقلانيتها:

وهذه إشارة إلى بعض الأدلة والبراهين على بطلان آرائهم وعدم عقلانيتها، دون الخوض في تفاصيلها، ومن أراد التوسع فيها فليرجع إليها

(١) انظر لن تلحد، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) انظر الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: د/الدمرداش عبدالمجيد سرحان، نشر دار القلم بيروت (ب ت) ص ١١-١٦، وانظر أيضاً الفيزياء ووجود الخالق، مناقشة عقلانية إسلامية...، د/جعفر شيخ إدريس، طبع مجلة البيان- مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠١م ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) انظر الله يتجلى في عصر العلم، ص ٤٨، ص ٥٢، وانظر لن تلحد ص ٨٩.

(٤) انظر الفيزياء ووجود الخالق، ص ٩٥.

في مصادرها المذكورة بالهوامش.

١- البرهان الكوني:

من أبسط البراهين وأشهرها وأدلها على وجود الخالق، ما يعرف ببرهان التصميم أو البرهان الكوني، ويعني أن دقة بناء الكون وما عليه الطبيعة من نظام وانتظام يشير إلى وجود خالق منظم لها(١). وهذا البرهان يهدم دعوى الملاحدة في نشأة العالم بالصدفة، يقول هنري برجسون في ذلك ما ملخصه: "كيف تستطيع عقولنا أن تصدق أنه بطريق المصادفة والتطور والانتخاب الطبيعي قد تكونت حاسة الإبصار عند جميع الحيوانات؟ إنه من المستحيل أن تكون العين، بتركيبها العجيب الغريب المعقد، قد نشأت من المادة مباشرة، ومن أول أمرها على هذه الصورة الكاملة. وإذا أخذنا بمذهب التطور، وقلنا مع القائلين أن حاسة الإبصار عند جميع الحيوانات تكونت وبلغت هذا الكمال بعد سلسلة من التطورات الحادثة بسبب ناموس الانتخاب الطبيعي، وتأثير البيئة والظروف والأحوال التي تكتنف الحيوان، فهل نستطيع أن نقنع عقلا سليما بأن الأدوار والأحوال التي مرت بها عين الإنسان تطابق تمام المطابقة الأدوار والظروف والأحوال والمؤثرات التي مرت بها عيون جميع الحيوانات؟"(٢). ولا شك أن ما كشفه العلم الحديث من معلومات في قوانين الطبيعة ونشأة الكون والحياة وتنوع الكائنات الحية، قد أمد هذا البرهان بالكثير من الأدلة على وجود الله تعالى، وأثبت بطلان قول

(١) انظر الله يتجلى في عصر العلم ص٥٣-٥٦، وانظر الفيزياء ووجود الخالق ، ص٥٤-٥٧.

(٢) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص١٧٨.

الملاحظة بالمصادفة.

٢- علم الفيزياء:

أما علم الفيزياء فهو العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الطبيعية ويضع العلاقات والقوانين والنظريات التي تفسر هذه الظواهر. كما يقدم ما توصل إليه من طرق القياس للاستخدام في جميع العلوم الطبيعية والحيوية الأخرى، الكيمياء والطب والهندسة والأحياء وغيرها. فهو القاعدة الأساسية لمختلف العلوم، حيث يقدم التفاصيل العميقة لفهم كل شيء. وهذا العلم كان يظن الملاحظة أنه يساند الإلحاد، لكن الواقع عكس ذلك تماما، إذ إن تطوره يؤازر قضية الإيمان ويقوض الأسس التي يقوم عليها الإلحاد. فالقانون الطبيعي هو الانتظام في الطبيعة، والانتظام من أهم ما يعطي هذا القانون دلالاته على وجود الله تعالى، حيث إنه يشمل الموجودات كلها، ولم يجد علماء الفيزياء تفسيراً لكيفية صياغته على هذه الهيئة إلا الإقرار بوجود الله تعالى.

مثال ذلك أينشتاين، يؤمن بأن من يفهم الطبيعة يعرف الإله، لا لأن الطبيعة هي الإله، لكن لأن ما في الطبيعة من قوانين تشير إلى عقل يقف وراءها وعلى عقل الإنسان أن يكون شديد التواضع أمام عظمة هذا الإله. يقول أينشتاين: "أريد أن أعرف كيف خلق الإله الكون، أريد أن أتعرف على أفكار الإله، والباقي سيكون تفاصيل مكملة"^(١). ويشبه المعرفة الإنسانية عن الكون بطفل صغير داخل مكتبة ضخمة، مليئة بمجلدات كتب بلغات عديدة، يدرك الطفل يقينا أن كتابا كتبوا هذه الكتب، ولكنه لا يعرف كيف، ولا يفهم اللغات التي كتبت بها، كما يدرك أن الكتب قد رصت داخل

(١) رحلة عقل ص ٨٥.

المكتبة بنظام ما لكنه لا يعرفه. ويشبه أينشتاين تصور العقلاء من البشر عن الإله بهذا المثال، حيث يلمسون ما في الكون من نظام، ويدركون أنه يتبع قوانين طبيعية رائعة، لكنهم لا يفهمون عنها إلا القليل، ومن ثم يدركون أن هناك قوة خفية وراء ذلك كله(١).

٣- علم البيولوجيا:

ويمكن الإشارة هنا إلى تشارلز دارون الذي اتهم بالإلحاد واستند إليه ملاحدة العصر الحديث واتخذوه حجة لهم في إلحادهم، إذ يقر بوجود الخالق لهذا الكون، فيقول- بغض النظر عن عقيدته الحقيقية:- "من الصعب جداً، بل من المستحيل أن نتصور أن كونا هائلاً ككوننا، وبه مخلوق يتمتع بقدراتنا الإنسانية الهائلة، قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء(٢)، أو لأن الحاجة أم الاختراع. وعندما أبحث حولي عن السبب الأول وراء هذا الوجود، أجدني مدفوعاً إلى القول بمصمم ذكي. ومن ثم فأني أو من بوجود الإله"(٣).

٤- فلاسفة العصر الحديث:

كذلك فلاسفة العصر الحديث الكثير منهم يقر بوجود الإله، يقول (جون فوستر) أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد، في كتابه: (الإله خالق القوانين): "إذا أقررنا بوجود قوانين الطبيعة، فإن هذا الانتظام يمكن

(١) انظر المصدر نفسه ص ٨٥.

(٢) انظر إبطال دعوى المصادفة في كتاب: الفيزياء ووجود الخالق ص ٩١-١١٥، وكتاب: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، ص ١٩٤-٢٠٠، وكتاب: قصة الإيمان... ص ٢٩١-٢٩٨، وانظر مناقشة نظرية دارون في نفس الكتاب ص ١٨٣-٢١٧.

(٣) نقلاً عن رحلة ص ٩٣.

تفسيره ببساطة وعلى أكمل وجه، بوجود إله حكيم قادر" (١). ويعلق الفيلسوف ريتشارد سوينبرن على برهان التصميم بقوله: "إذا قلنا مثلا، أن جميع الأجسام تنجذب لبعضها تبعا لمعادلة معينة (قانون الجاذبية)، فمن المنطقي والأيسر أن نعتبر أن امتثال جميع الأجسام ينبع من مصدر واحد، بدلا من افتراض أن كل جسم قد التزم بهذا السلوك مصادفة دون ضابط، وأن الإنسان هو الذي شكل من هذا التشابه العشوائي في سلوك الأجسام قانونا" (٢).

وهؤلاء الفلاسفة، أو الفيزيائيين، أو البيولوجيين، أو الكيميائيين وغيرهم (٣) -من المقرين بوجود إله للكون-، لا يقومون بتقديم البراهين من أجل الدفاع عن مفهوم فلسفي، ولكنهم يعبرون عن واقع أظهره العلم الحديث وفرضه على العقول المنطقية المنصفة. يقول كانط: "إن عقولنا تبيح لنا أن نعتقد أن وراء العالم إله، لأن فكرة وجود الله لا تحدث تناقضا عقليا، بل الذي يحدث التناقض العقلي هو نفي هذه الفكرة" (٤). ويقول فولتير معبرا عن الحاجة إلى وجود الإله والاعتراف به: "لو لم يوجد الإله لكان من الضروري اختراعه" (٥)، وهذه المقولة تعتبر من أبلغ ما قيل في التعبير عن داعي الفطرة، واستعمال العقل بطريقة صحيحة فيما وضع من أجله.

(١) المصدر نفسه ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٣.

(٣) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم، وكتاب قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن.

(٤) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص ١٦٩.

(٥) انظر هل الإلحاد لا عقلاني ص ١٢.

وإلى داعي الفطرة والمغالطة في إنكارها يشير الشيخ نديم الجسر بقوله: "فإذا رأينا هذا العالم المحسوس، ولم نتمكن من معرفة كنهه (علته الكافية)، التي سببت وجوده، أي كنه ذات الله، الذي خلقه وأوجده، لم يكن لنا أن ننكر وجود هذا الخالق، لمجرد أننا عجزنا عن معرفة كنه ذاته وصفاته، وإذا فعلنا نكون منكرين ومبطلين لقانون العلية الذي يقول كانط - وكل عاقل- أنه قانون عقلي مركز في عقولنا"^(١).

ثالثاً: غياب العقلانية في الإلحاد:

من المسلم به أن الطبيعة الفطرية للعقول متساوية ومتكافئة عند جميع البشر في حالتها الصفرية^(٢)، أي في بدايتها قبل أن تعمل وتخوض في مطلق الوجود، لذلك فالتصور الصحيح للعقل يفترض أن جميع العقول من حيث الأصل تقف على مسافات متساوية من مطلق الوجود بشقيه: عالم الغيب وعالم الشهادة، سواء كانت تلك المسافات على مستوى التصورات أو على مستوى الأحكام. ثم يكون اختلال ذلك التكافؤ وتفاوته مع أول ابتعاد لها عن حالتها التي خلقت عليها باتجاه الوجود بالنفسي أو بالإثبات، فيحدث لها بالنسبة لبعضها البعض وبالنسبة لمعقولاتها من التفاوت في الفهم والإدراك والتصور والحكم والاتفاق والاختلاف... الخ،^(٣) ما لا يحصى.

(١) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص ١٦٨.

(٢) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة النحل: الآية/٧٨، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في حقيقة العقل عند المتكلمين والفلاسفة.

(٣) انظر ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، دعبالله بن سعيد الشهري، طبعة ١، بيروت ٢٠١٤م، ص ١٠٥.

وهذا التفاوت له أسباب كثيرة بداية من النشأة الأولى للإنسان وصولاً إلى ما يعتري حياته من ظروف علمية ودينية واجتماعية وسياسية واقتصادية ونفسية.. الخ. لكن الملاحظة يزعمون أن الإلحاد خيار يؤدي إليه ما يسمى بـ(المنطق الخالص) أو (الفكر المحض)(١)، وأنه فرض أخلاقي يحتمه التطور الحضاري الذي نعيشه اليوم. وهذا بلا شك يبيت الصلة بالوجدان أو المشاعر أو العواطف أو الميول اللاواعية أو التجارب الشخصية للفرد في عملية صناعة قرار الإلحاد. والحقيقة أن قرار الإلحاد نفسي كأى قرار خاضع لمتغيرات النفس، ولا إجبار عليه. فهو عبارة عن تجارب شخصية ومواقف نفسية، وظروف اجتماعية وثقافية.

فالمحدد الذي يزعم أن الإلحاد فلسفة عقلية يؤدي إليه ما يسمى بـ(الفكر المحض) لا يعلم حقيقة العقل وطبيعته؛ لأن لازم قوله بالإلحاد، هو إنكار العقل، أو تطوره عن كائنات أدنى، وبالتالي لا ثقة لعقله ولا لمعرفته قيمة. يقرر ذلك داروين ذلك فيقول: "ولكن هنا يراودني الشك الآتي؛ هل يمكن أن يكون عقل الإنسان -والذي أؤمن إيماناً جازماً أنه تطور عن عقلٍ كذلك الذي تمتلكه أدنى الكائنات- محلاً لثقتنا، وهو يدلي بتلك الاستنتاجات العظيمة؟". وقال داروين في موضع آخر: "ينتابني دائماً شكٌ فظيغٌ حول ما إذا كانت قناعات عقل الإنسان -والذي بدوره تطور من عقول كائنات أدنى- تتمتع بأية قيمة أو تستحق أدنى ثقة"(٢).

لكن أصل إنكار الملاحظة للإله لا يعود إلى أن عدم وجود الخالق

(١) انظر المصدر نفسه ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) العودة إلى الإيمان د/هيثم طلعت، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٤م، ص ٢٠.

ضرورة فطرية أو أن النظر في الأدلة لا يقتضي إلا ذلك، وإنما يعود إلى وهم وتصور معين، عندما فسروا عقلانيتهم وحكموها فقط بواسطة عمليات كيميائية وفيزيائية. وبالمغالطة منهم - كما يفعل السوفسطائيون- يصوروا لعامة الناس أن الأمر كذلك. ولا شك في بطلانه ومناقضته للعقل؛ لأن وجود الإله مركز في الفطرة، والتصور الصحيح للعقل لا يجعل فرضية الإله فكرة مشروعة فحسب، ولكنه يجعلها حاجة ملحة، وإنكار والملاحظة لها تعطيل للعقل؛ لأن العقل لن يكون عقلا إلا بإثبات الخالق. لذلك قيل: الإلحاد انتحار متواصل للعقل البشري^(١)، فعندما ينكر الملاحظة الإله والغيبيات ولا يؤمنون إلا بما هو مادي فقط، فهذا يعتبر إنكارا واضحا للعقل وتعطيلا لمهمته. كذلك عندما يزعمون أن الحياة مادة فقط، فإنه يعني أن العقلانية أمر غير موثوق فيه؛ لأنه إذا كانت آليات العقل والتفكير ليست سوى ردود فعل كيميائية في الدماغ -كما يقول الملاحظة-، فلا يوجد أي سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن أي شيء صحيح بما في ذلك نظرية المادية نفسها.

وعليه، فالعقلانية غير متوفرة في عالم الإلحاد، وإن شئت فقل: (عقلانية غائبة أو ناقصة)، ومع ذلك يصر الملاحظة على أنهم من أهل المنهج العقلاني لا التجريبي -مع ميلهم للمنهج التجريبي القائم على الحس والمشاهدة-؛ وهذا شيء متناقض، إذ كيف يمكن أن يفسر الملحد -الذي يسمى نفسه بالعقلاني- ما يقرُّ به في نفسه من وجود بدهيات عقلية قطعية في الذهن، لا يكتسبها المرء من تعليم ولا تفكير ولا من البيئة، بل يولد

(١) انظر موسوعة الرد على الملحدين العرب، د/هيثم طلعت سرور، باحث متخصص في الإلحاد والمذاهب الفكرية، منشورة على موقع (لا إلحاد) ج ١ ص ٢.

بها؟ وكيف يمكن أن يرى أن هناك ما يعلمه الإنسان بالفطرة بل ويرى أنها صحيحة قطعية، دون أن يقر بوجود الخالق الفاطر الذي فطرنا على ما فطرنا عليه وجعل تلك البدهيات معلومة في عقولنا؟ وكيف يقول أنها صحيحة قطعية مع إحداه في نفس الوقت؟

وبالرغم من أن العقل له دور كبير في الحضارة المادية ، فإذا استقرأنا تاريخ الفكر النظري البحت وجدنا أنه عاجز عجزا تاما في مجال العقائد والأخلاق، وهذا يدل على أن كل من يأمل أن يصل إلى يقين عقلي في ذلك فإنه مغرور(١). وقد أشار المحاسبي منذ زمن إلى هؤلاء المعطلة بقوله: " وفرقة عقلت البيان ثم جحدت كبرا وعنادا لطلب الدنيا كما وصف عن إبليس أنه تكبر وعاند كبرا وهو مع ذلك يقول: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢). ووصف اليهود فقال: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣). وقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(٤). وقال: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(٥). وقال: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^ط فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٦). وفرقة طغت وأعجبت وقلدت فعميت عن الحق أن تتبينه، ثم تقر به ثم تجده كبرا وطلبت دنيا بعد عقلها للبيان، فظنت أنها على حق ودين،

(١) انظر الإسلام والعقل، د. عبدالحليم محمود، دار المعارف، ط٤(ب ت)، ص٩-١٠، وانظر لن تلحد ص٨٨.

(٢) سورة ص: الآية/٨٢.

(٣) سورة البقرة: الآية/٤١٦.

(٤) سورة النمل: الآية/٤١.

(٥) سورة الأنعام: الآية/١١٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية/١٨٧.

وهي على باطل وشر وضلال" (١).

ونتوجه بسؤال للملاحظة غير المسلمين، ألم يقرؤا في كتابهم المقدس في المزامير: "قال الجاهل في قلبه: لا يوجد إله" (٢). هتف داود النبي: "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" (٣). وفي سفر الحكمة: "إن جميع الذين لازمهم جهل الله مغرورون بأنفسهم طبعاً. فإنهم لم يفقدوا أن يعرفوا الكائن انطلاقاً من الخيرات المنظورة، ولم يعرفوا الصانع من اعتبار أعماله. لكنهم حسبوا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو المياه الجارفة أو نيري السماء آلهة تسيّر العالم، فإن حسبوا تلك آلهة لأنهم خلبوا بجمالها، فليعلموا كم سيدها أعظم منها؛ لأن الذي خلقها هو أصل الجمال. وإن دهشوا من قدرتها وفعاليتها، فليفهموا منها كم مكونها أقدر منها، فإن عظمة المخلوقات وجمالها يؤديان بالقياس إلى التأمل في خالقها" (٤).

إذاً فالإلحاد الذي يتطلب من أتباعه إنكار بدهيات عقلية ومنطقية، يعتبر أقسى من أشد الديانات إغراقاً في الوثنية. وإهداراً متواصلاً للعقل البشري، والقضية في أساسها ما هي إلا سفسطة ومحاولة فاشلة للوصول بطرق ملتوية أخطأت طريقها فأنتجت مذهباً جديداً يسمى بالإلحاد، لا ينجو

(١) العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: د/حسين القوتلي، دار الفكر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٧١م، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) مزمور: ١٤ / ١، الكتاب المقدس، طبعة جي. سي. سنتر - مصر الجديدة - القاهرة (ب ت).

(٣) مزمور: ١٩ / ١.

(٤) سفر الحكمة: ١٣ / ١ - ٥، الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق - بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

من نهايته المؤلمة إلا من أعمل عقله وعاد إلى صوابه واعترف بخطئه.

المبحث الرابع عودة إلى العقلانية

اعترافات وعودة إلى العقلانية واستعمالها في موضعها الصحيح، من جهة أشخاص عاشوا زمناً في كهوف الإلحاد، وعندما لم يجدوا فيها شيئاً مجدياً، إذا بهم ينفضوا عن عقولهم غبارها ويخرجوا منها إلى نور الحق ويعترفوا أمام العالم بخطئهم عندما تركوا ذلك النور وهربوا منه إلى الظلمات. وهذه بعض النماذج التي خرجت من كهوف الإلحاد إلى نور العقل والفهم:

١- أنتوني فلو:

ومن أمثلة عودة العقلانية لبعض الملاحدة: (أنتوني فلو Antony Flew) (١)، الفيلسوف البريطاني ذائع الصيت في مجالات الفكر والفلسفة

(١) يقول عن نفسه: وُلدت في لندن عام ١٩٢٣م، ونشأت في بيت مسيحي ملتزم، إذ كان والدي كاهناً إنجليزياً كبيراً من النشطاء في الكنيسة، كما كان محاضراً ثم رئيساً لكلية الدراسات الدينية في كمبريدج. ومنذ طفولتي، ألحقت بمدرسة خاصة (كينجزوود Kingswood)، لا أدري لماذا لم أكن مهتماً بالدراسات والممارسات الدينية... لا أدري سبباً لهذا العزوف عن الدين في صباي. كل ما أستطيع قوله هو أن بذرة الإيمان التي كانت داخلي عند التحاقني بالمدرسة، ماتت قبل تخرجي منها. لا أدري على وجه التحديد، متى وكيف توجهت إلى الإلحاد بالرغم من النشأة الدينية؟ بالتأكيد هناك عوامل كثيرة شاركت في تشكيل قناعاتي الإلحادية، منها:

١- ورثت عن والدي "الحكمة".

٢- كذلك ورثت عن والدي شغفه العقلي ومنهجه في البحث. فعندما كان يبحث في قضية من القضايا الدينية، كان يجمع ويحلل كل الحجج والبراهين الخاصة بتلك القضية، قبل أن يصدر الرأي فيها.

٣- يمثل إحساسي "بعضلة الشر والألم" أحد العوامل المبكرة وراء اندفاعي تجاه

والإلحاد، الذي حمل راية الإلحاد لأكثر من نصف قرن، واعتبر من أكبر ملاحظة العصر الحديث. وكان مشهوراً بكتاباتهِ المتعلقة بفلسفة الدين. ويرى أنه ينبغي لكل منا أن يفترض الإلحاد مسبقاً إلى أن يحصل على دليل تجريبي، يدل على وجود إله^(١). لكنه في عام ٢٠٠٤م وبعد أن بلغ ثمانين عاماً من العمر، عبر عن ولاءه واعترافه بوجود إله لهذا الكون، وقد أذاعت وكالة أنباء الأسوشييتد برس^(٢) الخبر بعنوان: "ملحد شهير يؤمن بالإله، بدافع من الشواهد العلمية"، وأصاب الخبر زملاءه بصدمة، حتى امتلأ إعلام الغربيين بسخريتهم وازدراءهم لهذا التحول. وقد طلب من

الإلحاد.

٤- عندما التحقت بمدرسة كنجزود، كان يترأسها رجل من أعظم مديري المدارس. كان يشجعنا كثيراً على التردد على المكتبة للاطلاع الحر. وكانت موعظة الأحد (عندما كان يلقيها بنفسه) في كنيسة المدرسة تتحدث عن عجائب الطبيعة وقوانينها، ولا تتعرض على الإطلاق لحياة أخرى بعد الموت.

٥- كنت دائم النقاش مع أقراني ومع من هم أكبر مني عمراً، حول القضايا الإيمانية التي يطرحها الكهنة. وكنت غير متقبل على الإطلاق لفكرة الرب. وما إن بلغت سن الخامسة عشر، حتى أعلنت لزملائي رفضي الإقرار بوجود الإله. تم ذلك كله دون أن أتناقش مع قس الاعتراف حول شكوكي، كذلك نجحت في أن أخفي قناعاتي الجديدة عن والدي لفترة طويلة حتى لا أcker صفو البيت. وبحلول شهر يناير عام ١٩٤٦، وكنت قد قاربت الثالثة والعشرين من عمري، ذاع الخبر بأنني قد أصبحت ملحداً دهرياً، وأن قناعاتي لا رجعة فيها، فشعر من بالبيت أنه لا طائل من مناقشة هذا الأمر معي. انظر رحلة عقل ص ٤٧-٤٩.

(١) انظر رحلة عقل د. عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية- مصر الجديدة، طبعة رابعة ٢٠١١م، ص ١٣.

(٢) وكالة أنباء أمريكية غير ربحية تأسست في مايو ١٨٤٨م، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

https://ar.wikipedia.org/wiki/أسوشييتد_برس.

(أنتوني فلو) أن يصدر كتابا يعرض فيه رحلته من صبي مؤمن إلى رجل ملحد إلى شيخ في الثمانين يؤمن بوجود الإله. وأخيرا صدر عام ٢٠٠٧م كتاب يتضمن أسباب تغيير موقفه من وجود الإله بعنوان: (هنالك إله: كيف عدل أشرس ملحد عن الإلحاد)(١).

يقول عن أسباب رجوعه إلى الحق: لقد صرت على قناعة كاملة بأن الكون ظهر إلى الوجود عن طريق خالق ذكي، وأن ما في الوجود من قوانين ثابتة متناغمة تعكس ما يمكن أن نسميه فكر الإله. كما أومن بأن نشأة الحياة والتنوع الهائل للكائنات الحية لا ينشأ إلا عن مصدر سماوي. لماذا أصبحت هذه قناعاتي، بعد أن ظللت ملحداً لأكثر من نصف قرن؟ إن العلم الحديث يجلى خمسة أبعاد تشير إلى الإله الخالق:

- ١- الكون له بداية، وخرج من العدم.
 - ٢- أن الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة مترابطة.
 - ٣- نشأة الحياة، بكل ما فيها من دقة وغائية، من المادة غير الحية. (المقصود بالغائية بأن للحياة معنى وهدف وغاية تتجاوز الحركة المادية المباشرة).
 - ٤- أن الكون، بما فيه من موجودات وقوانين، يهيئ الظروف المثلى لظهور ومعيشة الإنسان، وهو ما يعرف بالمبدأ البشري.
 - ٥- أن القدرات العليا للعقل لا يمكن أن تكون نتاجا مباشرا للنشاط الكهروكيميائي للمخ(٢).
- وبهذا يكون قد اعترف بما قد ذكرناه من قبل من أدلة بطلان مزاعم

(١) انظر رحلة عقل ص ١٣، ٧٤.

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٧٥.

الملاحظة، فاعترف بأن الكون له بداية وليس أزليا كما يقول الملاحظة. وأن الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة، وهو برهان التصميم أو البرهان الكوني. وأن الحياة نشأت من العدم، وبهذا ينفي فكرة المصادفة. وأن العقل البشري ليس هو النشاط الكهروكيميائي، أي أن العقل ليس بمادي.

ورأى أن العقل من خصوصية الإنسان، وأصبح لا مفر من اللجوء إلى عالم ما وراء الطبيعة لتفسير قدرات العقل الخارقة. ويتابع كلامه فيقول: ليست معطيات العلم الحديث فقط هي التي دفعتني لتغيير قناعاتي، ولكني أيضا أعدت النظر في البراهين الفلسفية التقليدية التي قادتني قبل إلى الإلحاد، ثم طبقت نفس القاعدة السقراطية المنهجية التي عشت عليها طوال حياتي الفلسفية: "أن نتبع البرهان إلى حيث يقودنا" فقادني البرهان هذه المرة للإيمان^(١).

وصار (فلو) مؤمنا بالإله لا عن طريق الوحي وإنما عن طريق العقل، وقد ذكر ذلك فقال: لقد كان توصلي إلى ذلك عن طريق العقل، دون الحاجة إلى تدخل غيبي خارق من وحي أو معجزات لقد كانت رحلة عقل وليست رحلة إيمان^(٢).

وهذا شيء طيب يحسب لمحدد كانت نشأته في بيئة مسيحية، وتركها إلى الإلحاد، ثم أعمل عقله وعاد وأيقن واعترف بوجود إله خالق، وإن لم يعترف بالوحي ولم يؤمن به، فإنه بإعمال عقله وخروجه من الإلحاد إلى الإيمان بوجود إله، قد اقترب من الحق الكامل، وليس ببعيد عليه وعلى أمثاله في هذه الحالة أن يعترف بصدق الوحي ويؤمن بالإيمان

(١) انظر المصدر نفسه ص ٧٥.

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٢٧٢.

الكامل بدخوله الإسلام كغيره أمثال جفري لانغ.

٢- جيفري لانج (١):

من أهم تلك الاعترافات بالعودة إلى العقلانية، اعتراف د. (جيفري لانج Jeffrey Lang) عن أسرار النفسانية في مرحلة إلحاده التي سبقت دخوله الإسلام، والتي تحمل في طياتها معلومات في غاية الأهمية صادرة عن تجربة حقيقية، بل ومن غربي تربى على ثقافة حرية التعبير والتفكير ولا يعاني من ضغط اجتماعي يحول بينه وبين التصريح بماضيه الإلحادي، ثم هو بعد ذلك كله آمن بالإسلام وعاش فيه أكثر من ثلاثة عقود مما يتيح له أن يشخص نفسية الملحد وتفكيره تشخيصاً أقرب إلى الموضوعية والعلمية من غيره.

فيذكر أنه في آخر سنة في المدرسة الثانوية بدأت نقاشاته مع الكاهن الذي يدرس لهم مادة التربية الدينية حول وجود الله ﷻ حيث كان (جيفري) يعترض على الأدلة ويشكك في قوتها، وقد أخبره المعلم بأن عليه أن يغادر الصف وألا يعود حتى يغير وجهة نظره، وإلا فإنه سيرسب في المقرر. وقد أبلغ والده بذلك، فقال له: "كيف لا يمكنك أن تؤمن بالله؟"

(١) جيفري لانج (بالإنجليزية: Jeffrey Lang)، من مواليد (٣٠ يناير ١٩٥٤، مدينة برديجورت) من عائلة كاثوليكية، درس أيضاً في مدرسة كاثوليكية، أستاذ رياضيات أمريكي. يعمل في قسم الرياضيات في جامعة كنساس، حكى قصة إسلامه في كتابه: (الصراع من أجل الإيمان) وكتاب: (حتى الملائكة تسأل)، راجع: مقدمة كتاب: حتى الملائكة تسأل رحلة الإسلام في أمريكا، تأليف جيفري لانج، ترجمة: د/منذر العبيسي، الناشر دار الفكر المعاصر- بيروت- طبعة ٢٠١٣م، ص٧، وراجع: جيفري_لانج

<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

سوف يذلك الله يا جيفري! ولسوف يخزيك لدرجة تتمنى فيها أنك لم تخلق أبداً".

رد جيفري: ولكن لماذا؟ هل لمجرد أنني لم أستطع الإجابة عن أسئلتني؟ ثم يقول: "وهكذا أصبحت ملحداً في نظر العائلة والأصدقاء.. مع أنني لم أنخل عن إيماني بالله.. ما قلته هو أنني وجدت البراهين التي قدمت في درس التربية الدينية غير ملائمة.. ومهما يكن فإنني لم أرفض هذا اللقب الجديد؛ لأن المشاحنة تركت أثراً كبيراً في" (١).

ثم يسجل تحليلاً نفسياً لما يجنيه الملحد من إلحاد، فيقول: "لقد كنتُ من جيل تربي على عدم الثقة فهناك خوف دائم من أن أحداً ما سوف يؤذيك، وخوف من شيء ما لم نكن نعلمه، إن فكرة أن الله خلق الدنيا على هذه الحالة، وفوق ذلك سوف يعاقبنا في النهاية جميعاً ما عدا نفرأ قليلاً منا، كانت أكثر رعباً وسيطرة على عقولنا من فكرة ألا نؤمن بالله على الإطلاق".

وهكذا فقد أصبحتُ ملحداً في سن الثامنة عشرة.. في البدء شعرت بالحرية؛ لأن رؤيتي الجديدة حررتني من الفوبيا (الرهاب، الهلع).. لقد كنتُ حراً لأعيش حياتي الخاصة بي وحدي، ولم يكن لدي ما يدعو للقلق من أجل إرضاء قوة فوق بشرية، وكنتُ فخوراً بأنني كنتُ أمتلك الجرأة لتحمل مسؤولية وجودي وأملك زمام نفسي، شعرت بالأمان فيما يختص بمشاعري وبمداركي، وكانت رغباتي طوع إرادتي، وأنا الذي كنت أقرر لنفسي ما كان خيراً أو شراً أو صواباً أو خطأ، لقد أصبحت إله نفسي

(١) الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام، جيفري لانغ، ترجمة: د/منذر العبسي، دار الفكر المعاصر- بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م، ص ٢٢-٢٣.

ومنقذها(١).

هذا الكلام منه يؤكد على أن الملحد المراهق يجذبه الإلحاد في بداياته؛ لأنه يحرره من الخوف، ويطلق له رغباته بلا أي قانون حاكم، لقد كان (لانج) صريحاً لدرجة الألم مع النفس حين قال: "لقد أصبحت إله نفسي"، ومن ثم نتذكر وصف القرآن الدقيق لهذه الحالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾(١).

ثم اكتشف بعد مرور سنوات على تجربته الإلحادية أن الإلحاد قد قذف به إلى أحضان رعب جديد، يقول: سرعان ما تعلمت أن لا أحد يعرف الوحدة كالملحد، فعندما يشعر الشخص العادي بالعزلة فإنه يستطيع أن يناجي من خلال أعماق روحه الواحد الأحد الذي يعرفه ويكون بمقدوره أن يشعر بالاستجابة، ولكن الملحد لا يستطيع أن يسمح لنفسه بتلك النعمة(٢).

وهذا؛ لأن المؤمن يمتلك إيماناً بأشياء تفوق إحساسه وإدراكه، في حين أن الملحد لا يستطيع حتى الثقة بتلك الأشياء، وعنده ليس هناك من شيء حقيقي تقريباً ولا حتى الحقيقة ذاتها. ولا شيء يشبع حاجاته؛ لأن عقيدته تخبره أنه ليس هناك شيء كامل أو شيء مطلق(٣). فالملحد يريد بالاحاد أن يؤله نفسه ويتحرر من طاعة الإله الحق، كما قال تعالى: ﴿

(١) المصدر نفسه ص ٢٤-٢٥.

(٢) سورة الجاثية: الآية/٢٣.

(٣) انظر الصراع من أجل الإيمان ص ٢٥.

(٤) الصراع من أجل الإيمان ص: ٢٥-٢٨.

أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا^(١).

ويستمر (لانج) في اعترافاته، فيرى أن الملحد ينتهي في نظريته للحياة إلى العدمية، فكل شيء مآله إلى الفناء، كل شيء في الدنيا زائل ومصيره إلى الأفول، وسينتهي ويتلاشى، فالملحد يعيش مخادعاً نفسه، يكذب عليها. يقول: لا يهمني الناس ولكنه يهتم لأبعد حد بنظرتهم إليه. وهكذا توجد دوماً في أعماق الإنسان حاجة إلى مجاوزة أبعاده المادية والانجذاب إلى قوة ما وراء الطبيعة لكي تلهمه وتقويه وترشده إلى الصواب والاطمئنان والأمان.

وبعد عشر سنوات من الإلحاد يقول (لانج): فقد وضعت الصليب ورأيت بعيداً عني، وعندما وجدت الجواب في الإسلام لم يكن هناك شيء في القرآن يجعلني أومن بالصليب ثانية، بل في الحقيقة كان الأمر على العكس.

وبعد تلقينه الشهادة من الطلبة المسلمين، قال (لانج) واصفاً الكلمات المملوءة بالمشاعر الجديدة: "كانت هذه الكلمات كقطرات الماء الصافية تتحدر في الحلق المحترق لرجل قارب الموت من شدة العطش. وكنت أستعيد القوة بكل كلمة منها. كنت أصحو للحياة ثانية... كنت أنضم إلى أتباع الأنبياء جميعاً الذين يؤمنون بكافة الرسل الذي أرسلوا في مختلف العصور لجميع الأجناس والأعراق، ماداً يدي كتاباً ومصدقاً لمن بعث للإنسانية منذ أربعة عشر قرناً خلت... إن هذا يعني التزاماً بطريق عالمي متمتع بقداسة القدم بشر به حملة أول رسالة سماوية وختمت بظهور محمد... شعرت بالحصانة والأمان والحرية. شعرت أنه بمقدوري أن

(١) سورة الفرقان: الآية/٤٣.

أحب الآن ويحبني من لا حدود لعطاءاته ونعمه... لقد عدت إلى ملاذي
ثانية^(١).

ومن الأمور المهمة التي حرص (جيفري لانج) على إظهارها في
كتبه، مركزية دور العقل في القرآن وأثره الجوهرية في بلوغ الإيمان،
وفي هذا الصدد يقول: كنتُ قبل إسلامي أعتقد دائماً أن العقل ينسف
الإيمان، بيد أن القرآن يقول: إن الإيمان يزول عندما يتجاهل العقل، أو
عند تطبيقه تطبيقاً ضعيفاً^(٢). وقد وجد أن القرآن يهتم بإبراز دور العقل
في البحث الروحي البشري، وأن اللهجة العقلية المنطقية التعليمية من أكثر
معالمه بروزاً، بل ومن أهم موضوعاته الجوهرية هي أن الناس عندما
يتجاهلون آيات الله أو يرفضونها يفسدون الدين؛ لأنهم لا يستعملون
عقولهم، (فهم لا يعقلون)، وينعى القرآن على الذين ينتقصون من قدره،
فيسألهم مستغرباً: (أفلا تعقلون). كما أن القرآن يعد العقل والإيمان حليفين،
كما أن اللامنطق والإيمان الزائف حليفان. والذين ينتفعون بالقرآن هم
العقلاء (أولوا الألباب) (والراسخون في العلم). والذين يعارضون الوحي

(١) الصراع من أجل الإيمان ص ٤٣-٤٤. وللاستماع إلى قصة إسلام جيفري لانج،
للدكتور زغلول النجار، يمكنك مشاهدة هذا الفيديو على اليوتيوب: استرجع في
٢٠١٥/١٠/١٢ م.

https://www.youtube.com/watch?v=3PLr_3BJXUc

والملاحد الذي تحول للإسلام- جيفري لانج مترجم:

<https://www.youtube.com/watch?v=SxTAEIC5Yg>

(٢) انظر ضياع ديني صرخة المسلمين في الغرب، جيفري لانج، ترجمة: إبراهيم يحيى
الشهابي، الناشر محمد عدنان سالم (ب ت)، ص ١٣.

هم (في ضلال مبين) و(قوم يجهلون) و(سفهاء) و(لا يفقهون)^(١).
إذا فمعضلة الملحد إفراطه في منهجية الإنكار التي يغرق فيها فتطبع كل سلوكيات حياته، فيمسي منكرًا مكذبًا معاندًا لكل ما لا يتفق مع رغباته وميوله، ويصبح هذا ديدنه حتى يقع في أخطر فخ وهو أنه ينكر الحقائق ويزيفها بينه وبين نفسه، ولعل في هذا ما يوضح معنى أن ينسى الخالق سبحانه الإنسان نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢) فهذه الآية تنطبق على الملحد تمامًا، وما أشدها من حالة للنفس حين تغفل عن مصلحتها وتذهل عن حقيقتها، فتري الباطل حقًا، وتري الحق باطلاً، فلا تستطيع أن تعرف ما ينفعها وما يضرها، وهذه عاقبة الإنكار والتكذيب للحقيقة الأولى والكبرى وهو الخالق سبحانه، فمن أنكره فهو لغيره من الحقائق أنكر.

وبهذا يكون قد اعترف بتعطيل الملحد لعقله، ومحاولاته الدائمة في حجه عن الحق، مما لا يتفق مع ميوله ورغباته، حتى يغرق في منهجية الإنكار فتطبع بها كل سلوكيات حياته.

ولكن (جفري لانج) يصل بإعمال عقله إلى أن دعوة الإسلام هي دعوة التفكير السليم والمنطق والعلم المتعمق لا المتعجل، العلم الحقيقي لا السطحي، وأن مقاليد الوجود كلها لله، وهو لا يحتاج إليه سبحانه. ويؤكد أن القرآن يقدم، باستمرارٍ، البراهين العقلية الدالة على قدرة الله، وأن المسلمين، رغم إقرارهم بأن للعقل حدوده، يؤمنون بالدور الحاسم الذي يستطيع أن ينهض به، وأن أساس هذا هو القرآن الكريم.

(١) انظر المصدر نفسه ص ١٣.

(٢) سورة الحشر: الآية/١٩.

المبحث الخامس

آثار تعطيل العقل عند الملاحدة ونتائجه

إذا كان الإلحاد يقوم على إنكار وجود الله ﷻ، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، وينكر الحياة الآخرة، ويرى أن المادة أزلية أبدية، ولا يعترف بأية مفاهيم أخلاقية ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح. وإذا كان الملحدون يتغنون بإلحادهم وأفكارهم وحربتهم التي يرون أنهم يتميزون بها عن غيرهم من المؤمنين البسطاء. وإذا كثرت إبداعاتهم غير المنطقية التي يدعون فيها أنهم عقلانيون ويتعاملون مع الأمور بواقعية، وأنهم أكثر سعادة من غيرهم من المؤمنين الذين حكموا على أنفسهم بالانقياد للدين، وحرموا أنفسهم من ملذات الحياة. فإن الواقع والعلم يكذب هؤلاء ويثبت من خلال نقده لأرائهم أن العقلانية عندهم غائبة ومستبعدة أو غير صحيحة، وسببه أن الملحد يرى العالم من حوله مجرد مادة، وأن الإنسان مجرد جزء منها تسري عليه قوانين المادة وحتميات الطبيعة، وغايته تحقيق أقصى إشباع ممكن^(١).

أولاً: آثار تعطيل العقل عند الملاحدة:

كثيراً ما يعمل الملاحدة -من أجل تحقيق رغباتهم وإشباعها- على هدم صرح الأخلاق، من خلال دعوى أن الأخلاق أمور اعتبارية نسبية لا ثبات لها، وأنها تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن أمة إلى أمة. فالذي يعتبر منافياً للأخلاق عند شعب من الشعوب، لا يعتبر منافياً للأخلاق عند شعب آخر، وبعض ما كان مستنكراً فيما مضى قد

(١) انظر كهنة الإلحاد الجديد د/هيثم طلعت سرور صاحب موقع: (لا إلحاد) تقديم د/عبد الله بن سعيد الشهري ص ١٩٩، بتصريف.

يعتبر مستحسنًا في عصر آخر. فالأخلاق عند هؤلاء مفاهيم اعتبارية تتوضع عليها الأمم والشعوب، وليس لها ثبات في حقيقتها. وهذا بالطبع من أثر الإلحاد الذي يؤدي إلى إهدار حقوق الفرد والمجتمع، وتفكيك الروابط الاجتماعية، وتجعل الملحد منبوذًا من المجتمع. يقول جون لوك مؤسس العلمانية في الغرب: "فالوعد والعهد والقسم، من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد. فإنكار الله، حتى لو كان بالفكر فقط، يفكك جميع الأشياء" (١).

وأبرز آثار تعطيل العقل عند الملاحدة تتمثل في:

- عدم الإيمان بالخالق وبالقضاء والقدر، ونبذ القيم الأخلاقية والسلوكية.

- عدم الإيمان باليوم الآخر وبالتالي كل همه ملذات الدنيا فحسب.

- إحساس الفرد بأنه وحيد ومنبوذ من المجتمع ولا عون له إلا

نفسه.

ثانياً: نتائج آثار تعطيل العقل عند الملاحدة:

هذه الآثار السابقة عندما تحدث لشخص، فإنه يشعر بالقلق والهجران، ولا شك غالباً ما ينتج عنها اليأس الذي هو نتيجة طبيعية للقلق والهجران، التي ينتج عنها أحياناً القوم على الانتحار.

ومن أمثلة هؤلاء الذين أقدموا على الانتحار: (إسماعيل أحمد أدهم) أحد الشواذ الذين ألدوا. فقد ولد في تركيا وأعلن إلهاده ومات بمصر سنة ١٩٤٠م، وكان ملحدًا شهيرًا حصل على الدكتوراه في الرياضيات من

(١) رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة: منى أبو سنه، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩م، ص ٥٧.

موسكو وصنف كتبا كثيرة منها: (لماذا أنا ملحد) و(من مصادر التاريخ الإسلامي) و(حياة محمد ونشأة الإسلام) (١).

يقول عن نفسه: قد كان أبي من المتعصبين للإسلام والمسلمين، وأمي مسيحية بروتستانتية ذات ميول لحرية الفكر والتفكير، عشت مع شقيقتي في الأستانة، وكاننا تلقنا تعاليم المسيحية وتسيران بي كل أحد إلى الكنيسة... وفي هذه الفترة قرأت لدارون (أصل الأنواع) و(أصل الإنسان) وخرجت منهما مؤمنا بالتطور... وقرأت لهكسلي وديكارت وهوبس وهيوم، وأنا لم أتجاوز الثالثة عشرة من سني حياتي. ولكني لم أفهم كل ما أقرأه لهم. وخرجت من هذه الفترة نابذا نظرية الإرادة الحرة (٢). ويقول عن معنى الصدفة والتصادف: أما أنا شخصيا فلا أجد هذه الصعوبة إلا شكلية، والزمن وحده قادر على إزالتها، ومن هنا لا أجد بدا من الثبات على عقيدتي العلمية والدعوة إلى نظريتي القائمة على قانون الصدفة الشامل الذي يعتبر في الوقت نفسه أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله (٣).

وهكذا تحولت فكرة الإلحاد في ذهنه إلى عقيدة ومذهب يدافع عنهما، وأسس جمعية لنشر الإلحاد بتركيا (٤). وبعد أن عاد إلى مصر وقد صار الإلحاد يسري في جسده ويملاً جوانحه وتظاهر بأنه سعيد وأنه مستمتع بالحاده وبحياته وقال: فأنا ملحد ونفسي ساكنة ومرتاحة إليه، فأنا

(١) انظر موسوعة الرد على الملحدين العرب ص ٢٤.

(٢) انظر لماذا أنا ملحد، إسماعيل أحمد أدهم، دار النشر الإلكتروني، (ب ت)، ص ٥-٦.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ١٤.

(٤) انظر المصدر نفسه ص ٧.

لا أفترق من هذه الناحية عن المؤمن المتصوف في إيمانه^(١). بعد كل هذا، من الاستمتاع والسعادة المزيفة، قرر التخلص من حياته.

وفي مساء الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٤٠م وجدت جثته طافية على مياه البحر المتوسط، وعثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقابر المسلمين ويطلب إحراقها. نعم لقد انتحر وهو ابن التسعة والعشرين عاما وهو في ريعان الشباب... لقد قتله الإلحاد^(٢).

وهكذا كانت نهايته وغالبا تكون نهاية معطلة العقل من الملاحظة، نهاية من اتخذ إلهه هواه. ومن عظمة القرآن أنه لم يهمل الحديث عن هؤلاء بل وصفهم وصفاً يليق بهم، كما وصف المهتدين. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣). فماذا نرجو من إنسان أخرج الشيطان من النور إلى الظلمات؟ إنه مثل إنسان ميت يائس لا حياة فيه ولا استجابة لديه.

إذا فالعقل الإنساني له قيمة كبيرة في التمييز بين الأشياء، وله قيمته في كونه أساس منزلة الإنسان بين المخلوقات. وليس للعقل حد ينتهي إليه، ولا يعرف قدرات العقل إلا من آمن بأن لعقله قيمة ومكانة، واستعمله فيما

(١) انظر المصدر نفسه ص ٨.

(٢) انظر موسوعة الرد على الملحدين العرب ص ٢٤-٢٦، وانظر وهم الإلحاد، د/عمرو شريف تقديم: د/محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر محرم ١٤٣٥هـ ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآية/٢٥٧.

خلق له، وعلى رأسها الإقرار بما فطر عليه من وجود الخالق. فإذا أنكر وجوده عندئذ يفقد توازنه. ذلك أن الإيمان هو الذي يحفظ التوازن بين العنصرين المكونين لخلق الإنسان الروح والمادة .

يشير الشيخ نديم الجسر إلى رأي كانط في الفطرة والضمير والوازع الخلقي فيقول: "يقول كانط إننا نجد في قرارة نفوسنا شعورا قويا لا سبيل إلى إنكاره، يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ويؤنبنا ويعذبنا عند ارتكاب الذنوب والآثام، فمن أين أتانا هذا الشعور؟ إنه في زعم كانط ليس آتيا من الإحساس والتجربة، لأن الحواس لا تنقل لنا إلا صور الأشياء وليس في الأشياء شيء يسمى تأنيبا وتعذيبا للضمير، وليس آتيا من العقل النظري، لأن العقل إنما ينحصر عمله في الإدراك الحسي وتحويله إلى إدراك عقلي، فمن أين إذن يأتينا هذا الشعور القوي الواضح الذي لا سبيل إلى إنكاره؟ هذا الشعور الذي يطلق عليه الناس اسم الضمير، هو الذي يسميه كانط (العقل العملي) ويقول عنه إنه قانوننا الأخلاقي الذي فطرت عليه نفوسنا"^(١).

فإذا كفر الإنسان وألحد فقد أغلق النافذة التي يستمد منها النور، ومات منه الضمير والوازع الأخلاقي، ولم يبق له إلا الماديات والمحسوسات، والذي نراه اليوم في الإلحاد المعاصر هو يصدق ذلك، فلأي شيء يسعى الناس، وعلى أي شيء يتصارعون؟ إنها لمطالب الجسد وشهوات الأرض. وفي النهاية يفقد الإنسان إنسانيته ويعود كالحيوان، بل أسوأ كما قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

(١) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص ١٦٩-١٧٠.

الْعَافِلُونَ﴾ (١).

إذاً فالاضطراب النفسي ودوران الملحد في دوائر الشبهات التي لا تنتهي بين الإنكار واليقين، وبين الإيمان والكفر، والمحاولات الدائمة في إنكار الضمير والوازع الخلقي، والقلق والصراع النفسي والحيرة، وفقد الوازع الديني، وغياب العقل أو تعطيله عن مهمته، كل هذا يدفع بعضهم إلى الجنون والإقدام على قتل النفس. والإسلام دين الفطرة السليمة، لا يفرض على القوة العاقلة والعقل حالة من الجمود والتعطيل، بل على العكس من ذلك تماماً، إنه يدعو إلى إعمال العقل حيث ينبغي له أن يعمل، ومجاله واسع في هذا الوجود، ولا يمكن للعاقل الباحث عن الحقيقة أن ينكر الخالق، أو ينكر النزعة الإنسانية ونداء الإيمان الفطري الذي بداخله.

(١) سورة الأعراف: الآية/١٧٩.

الخاتمة

في هذا البحث تبين أن المادية هي المفسرة لكل شيء عند الملاحظة سواء في الكون أو الإنسان، ومن هذه الأشياء التي فسرت بالمادة (العقل)؛ فقد حصروه في الدماغ، وذهبوا إلى أن الدماغ هو عضو التفكير، وجعلوا العقل كله عبارة عن تفاعلات (بيوكيميائية) في خلايا الدماغ يصدر الإنسان عنه أفعاله وسلوكه. وأنكروا أي جانب روحي يساعد على هذا النشاط. لكن تبين بطلان رأيهم وثبت أن العقل ليس مادة كما يزعمون. كما تبين أن الملاحظة يكفرون بالله ورسله والغيبيات ويعتبرون الأديان عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل. وقد اتخذوا الإلحاد مبدأ لهذا الفكر. كما تبين إصرار بعضهم على أنهم من أهل المنهج العقلاني في إلحادهم وإنكارهم للخالق ﷻ، وهو شيء مخالف للعقل الصريح؛ لأنه بدهيات عقلية وقطعية في الذهن، وبالتالي فلن يكون العقل عقلاً إلا بإثبات الخالق، وغير ذلك يعتبر عقله غائب أو ناقص، أو ما شئت فسمه، وبلازم إلحاده، يمكن أن يقال: الإلحاد أصم أبكم أعمى.

كذلك اعترافات بعض الملاحدة وعودتهم إلى العقلانية واستعمالها في موضعها الصحيح، مثل (أنتوني فلو) و(جفري لانج)، الذين رأوا أن العقل من خصوصية الإنسان، ولا مفر من اللجوء إلى عالم ما وراء الطبيعة لتفسير قدرات العقل الخارقة. وأمثال هؤلاء يعتبر أبلغ رد على الملاحدة الذين يزعمون أنهم على الحق وغيرهم على الباطل.

إن دعوى الإلحاد ليست من أجل الخير أو الإنسانية، بل هي مجرد نزعة بعض الناس لتحرير ذاته من القيود المزعومة من الدين، فهي نفعية في المقام الأول، وأنصارها يغالطون ويدعون أنهم عقلانيون وواقعيون،

وأنتهم أكثر سعادة من المتدينين، لكن الواقع كذبهم وأثبت أنهم يعطلون عقولهم، ولم يقدم الإلحاد لأتباعه إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً. الأمر الذي نتج عنه إصابتهم بالقلق والهجران واليأس وقدمهم على الانتحار.

ولذا يجب على الباحثين وعلماء المسلمين التصدي لمثل هذه التيارات الإلحادية، والرد على شبهاتهم التي يثيرونها أمام عوام الناس وكشف بطلانها؛ لأن منهم من يتقن المراوغة وتزيين الباطل الذي يوقع ضعاف الإيمان فيه من حيث لا يشعرون، فلا بد من التصدي لهم، حتى يكون الناس على بصيرة من أمرهم.

مراجع البحث

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الكتاب المقدس طبعة دار المشرق- بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٩٤م. ونسخة أخرى طبعة جي. سي. سنتر - مصر الجديدة - القاهرة (ب ت).
- المعاجم:
- (٣) تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق/ مصطفى حجازي، طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م،
- (٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م،
- (٥) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق د/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- (٦) لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، (ب ت).
- (٧) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٨٢م.
- الكتب:
- (٨) إحياء علوم الدين/ لأبي حامد الغزالي، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- (٩) أدب الدنيا والدين/ لأبي الحسن الماوردي، دار اقرأ بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.
- (١٠) الإرشاد إلى قواطع الأدلة/ لأبي المعالي الجويني تحقيق د محمد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم عبدالحميد الناشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٠م.
- (١١) الإسلام والعقل، د. عبداللطيم محمود، دار المعارف، الطبعة الرابعة (ب ت).
- (١٢) البحر المحيط في أصول الفقه/ للزركشي، طبع وزارة الأوقاف والشئون

- الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٢م،
- (١٣) بداية الحكمة/ للأستاذ السيد محمد حسن الطباطبائي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم سنة ١٤١٨هـ.
- (١٤) بغية المرتاد/ لابن تيمية، تحقيق/د. موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم السعودية، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م.
- (١٥) التحقيق التام في علم الكلام/ لمحمد الحسيني الطواهري، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٩٣٩م.
- (١٦) التعريفات/ لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان -بيروت، طبعة ١٩٨٥م.
- (١٧) ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان/ د.عبدالله بن سعيد الشهري، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٤م.
- (١٨) الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، طبعة: ٢٠٠٣ م.
- (١٩) حتى الملائكة تسأل رحلة الإسلام في أمريكا، تأليف/ جفري لانج، ترجمة/ د. منذر العبسي، الناشر دار الفكر المعاصر- بيروت- طبعة ٢٠١٣م.
- (٢٠) الذريعة إلى مكارم الشريعة/ للراغب الأصفهاني، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
- (٢١) رحلة عقل/ د.عمر شريف، مكتبة الشروق الدولية، مصر الجديدة، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م.
- (٢٢) ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين/ للشيخ محمد ياسين، تقديم/ د.عبدالمهدي عبدالقادر، وآخرون، نشر المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- (٢٣) رسالة في التسامح/ جون لوك، ترجمة/ منى أبو سنه، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩م.
- (٢٤) رسالة في قواعد العقائد/ لنصير الدين الطوسي، تحقيق/ علي حسن خازم ، دار الغربية لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- (٢٥) رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق د/محمد عبدالهادي أبو ريده، الناشر دار الفكر العربي بمصر ١٩٥٠م.
- (٢٦) شرح الكوكب المنير/ للشيخ محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق د/محمد الزحيلي ود/نزيه حماد، مكتبة العبيكان بالرياض ١٩٩٣م.
- (٢٧) شرح كتاب النجاة/ لابن سينا، قسم الإلهيات تأليف فخر الدين الإسفرايني النيسابوري، تحقيق د/حامد ناجي أصفهاني، طهران ١٣٨٣هـ.
- (٢٨) الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام/ جيفري لانغ، ترجمة/ د. منذر العبسي، دار الفكر المعاصر- بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
- (٢٨) صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت(ب ت).
- (٢٩) ضياع ديني صرخة المسلمين في الغرب/ جفري لانغ، ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي، الناشر محمد عدنان سالم (ب ت).
- (٣٠) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق: د/أحمد بن علي سير المباركي، الرياض، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.
- (٣١) العقل والشريعة مباحث في الأبنتمولوجيا العربية الإسلامية/ د. مهدي فضل الله، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- (٣٢) العقل وفهم القرآن/ للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق/د. حسين القوتلي، دار الفكر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٧١م.
- (٣٣) العلم في منظوره الجديد/ تأليف روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو، ترجمة/ د. كمال خلالي، سلسلة عالم المعرفة، فبراير ١٩٨٩م.
- (٣٤) العمل الديني وتجديد العقل/ د. طه عبدالرحمن، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
- (٣٥) العودة إلى الإيمان/ د. هيثم طلعت، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.
- (٣٦) الفيزياء ووجود الخالق، مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة/ د. جعفر شيخ إدريس، طبع مجلة البيان- مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠١م.
- (٣٧) القرآن والنظر العقلي/ فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- (٣٨) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن/ للشيخ نديم الجسر، منشورات المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.
- (٣٩) لماذا أنا ملحد/ لإسماعيل أحمد أدهم، دار النشر الإلكتروني، (ب ت).
- (٤٠) لن تلحد/ لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الكتاب العربي السعودي- جدة-، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- (٤١) الله يتجلى في عصر العلم/ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان، نشر دار القلم بيروت (ب ت).
- (٤٢) مبادئ الفلسفة الإسلامية/ لعبدالجبار الرفاعي، الناشر دار الهادي للنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- (٤٣) المسودة في أصول الفقه تتابع على تأليفه ثلاثة من أئمة آل تيمية الناشر

- مؤسسة محمد علي صبح المدني بالقاهرة، ١٩٦٣م.
- (٤٤) معارج القدس في مدارج معرفة النفس/ للإمام الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- (٤٥) مقال عن المنهج/ لرينية ديكارت، ترجمة/محمود محمد الخضير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر-القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
- (٤٦) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ لأبي الحسن الأشعري، تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٩٠م.
- (٤٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م.
- (٤٨) نافذة على فلسفة العصر/ د. زكي نجيب محمود، كتاب العربي الكتاب السابع والعشرون ١٥ أبريل ١٩٩٠م.
- (٤٩) النكت الاعتقادية/ للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق رضا المختاري، الناشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- (٥٠) هل الإلحاد لا عقلاني/ تأليف: جاري جتنج وألفن بلانتنجا، ترجمة د/عبدالله بن سعيد الشهري، مدونة الفلسفة نيويورك تايمز، فبراير ٢٠١٤م.
- (٥١) وهم الإلحاد/ د. عمرو شريف تقديم د.محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر محرم ١٤٣٥هـ.
- شبكة المعلومات:
- (٥٢) قصة إسلام جيفري لانج/ للدكتور زغلول النجار، يمكنك مشاهدة هذا الفيديو على اليوتيوب: استرجع في ١٢/١٠/٢٠١٥م.

https://www.youtube.com/watch?v=3PLr_3BJXUc

(٥٣) كهنة الإلحاد الجديد/ د. هيثم طلعت سرور صاحب موقع: (لا إلحاد) على
<http://laelhad.com/> تقديم د. عبد الله بن سعيد الشهري.
(٥٤) الملحد الذي تحول للإسلام- جيفري لانج مترجم:
<https://www.youtube.com/watch?v=SxTAEEnIC5Yg>
(٥٥) موسوعة الرد على الملحدين العرب/ د. هيثم طلعت سرور. باحث
متخصص في الإلحاد والمذاهب الفكرية، منشورة على موقع (لا إلحاد)
www.laelhad.com

فهرس الموضوعات

٦٣٩	مقدمة
٦٤٢	المبحث الأول: مفهوم الإلحاد والعقل والعقلانية
٦٥١	المبحث الثاني: حقيقة العقل ومحلّه
٦٦٢	المبحث الثالث: الملاحظة معطلة العقل
٦٧٣	المبحث الرابع: عودة إلى العقلانية
٦٨٢	المبحث الخامس: آثار تعطيل العقل عند الملاحظة ونتائجه
٦٨٧	الخاتمة
٦٨٩	مراجع البحث
٦٩٤	فهرس الموضوعات
